رحلة الاب ارسانيوس شكري اروتين الحكيم

(تابع)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

استعمار كاين Cayenne

وفي هذا التاريخ وصل امر من السلطان في بهريز وما يليها بان جميع الفقراء الاولاد والبنات اليتامى وجميع الذين بغير صنعة والعواطلية من نساء ورجال يخذونهم الى جزيرة Cayenne قد انحلموا بها السلطان لكي يعمروها لانها خراب ويجعلوها مسكناً للبشر لانها ارض حسنة وكبيرة جداً لكنها خراب فامر السلطان بان يأخذوا لها ستين الف نفر من بلاده (ص ٩٩) وايالتها لكي يعمروها فما كنت ترى في النهار والليل سوى الزعيق والبكاء والعياط واقع في بهريز وازقتها لان جميع المأخوذين يؤخذون غصباً وقهراً في اي مكان صدفوا واحداً واحداً او واحدة من هؤلاء المذكورين يجذبونهم قسراً اولاد وشباب وبنات حالاً يحملونه في القوجية ويرسلونه الى خان هناك لكي يصيروا وجبة تحرز ويرسلونهم .

فبعد هذا صار الرجال المتعينة على هذا العمل ياخذون لكل من يرونه ويستفردونه فعند ذلك قامت اهل بهريز على قدم وساق وكنت تسمع وترى كل يوم في اغلب ازقة بهريز قتالاً وقتلى الى حد يوم ١٥ حزيران وكان حاكما نهار سبت ونحن بالبيت وقت الغذاء واذا بوجبة عظيمة على بابنا مكان نحن فيه ساكنين لان بيتنا بيت قاضي ذلك الصائح واذا داخل الى تلك الدار قدر عشرة انفار لاوند بعدة كاملة وبينهم شاب ابن عشرين سنة او اكثر ووجهه ورأسه وكل جسده مجروح والدم سائل من ساير جسمه وخارج باب الدار يمكن قدر عشرة الاف آدمي مع الصياح والعياط من جميع البشر واراد الخلق ان يهجموا على اللاوند لداخل الدار فكروا في وجههم الباب لان باب تلك الدار متين مثل باب قلعة فبدت البشر الخارجين يرجون الباب مع الشبابيك بالاحجار وكسّروا الباب شققاً وكسروا ما كان من البلور على الشبابيك وجرّحوا وفجّوا كثيرين من اهل الدار وبعد كسرهم الباب هجم الناس على اولئك اللاوند ووقع بينهم (ص ١٠٠) ضرب السيف وضرب الشنك ووقع واحد قتيل تحت الشباك الذي نحن

واقفين تتفرج فيه وبعد هذا قدمت العائم على اللاوند واخذوا منهم ذلك الشاب المجرح وقتله العامة قداء شبكنا بالاحجار والعصي وبعد ان قتلوه ربطوه من رجليه وجروه الى قدام بيت الحاكم بهريز وسبب قتله كان عوائي على اهل البلد من حية التنين باخذونهم الى الجزيرة المذكورة وسبب خذهم ايده مسحوباً بالحبل من رجليه الى قدام بيت الحاكم لان الحاكم عنده هوى ومشوه على اخوانه ورجموا بيت الحاكم وكسروا بعض شبابيكه وبعده صار الخبر الى بقية اللاوند حالاً ركب جمهور كبير لاوند مع مقدمهم وفي اليديهم السيوف وجاؤا لناحية بيت حاكم ودرموا العائم من على الباب وكنت ترى ذلك اليوم مثل ايام القيامة في بهريز وسكنت الاحوال وبعد كم يوم وقع التسيلك والشنق من الذين كانوا مقدم هذه الامور وفي فرنسا ترى كل جمعة يوجد جماعة للشنق وللتكسير ولم يعتبروا ووقعت اشياء كثيرة عدلنا عن ذكرها خوفاً من ملل القارئ.

الزينة في ميلاد ابنة الدلفين

وفي ٢٨ حزيران ولدت حرمة الدولفين اي ابن السلطان بنت ولو تولد ذكراً لصار لنا خير عظيم وبعد ولادتها بكم يوم عملوا في بهريز حراقة عجيبة وغريبة من كثر الصناعات المصنوعة من البارود وكنت ترى الليل كالنهار لانك تشاهد شموساً واقماراً ونجوماً وسماوات واشياء ما نقدر نعشيها باللسان وهذه الحراقة تكلفت سبعماية وخمسين كيس دراهم هذا والمولود بنت ولو كان المولود صبياً لتكلفت هذه الحراقة اثنين وماية كيس هكذا قرروا لنا الذين لهم اطلاع ابصر كيف تكون هذه الحراقة المكلفة سبعماية وخمسين كيساً وبعد الحراقة امر الملك بزينة في بهريز والبلاد في الليل فقط فكنت ترى (ص ١٠١) انظام الثريات والقناديل والثنارات والفوانيس شيء يدهش العقل لانهم ينظمونهم نظام كتابات وبدايع للسلطان اشياء تقرأ بسهولة وقصور وقلاع ومراكب وغير اشياء ما يمكن تشخص بالكتابة وكل البلد تراها شاعلة بنار ولا مكان الا ومزيّن ولا زقاق حتى النهر ترى على وجه الماء قيق ونيران تظن بان النهر احترق ومع هذا كله تسمع اصناف النوبات والموسيقى في كل الازقة والاسواق والخمر مثل الماء ما في من يشرب وتفريق الدراهم لا تسأل عنه وملاعيب ووجوه لابسين وساخر اشياء عجيبة وناهيك عن بهريز وزينتها وايضاً في ورسالية عملوا حراقة مكلفة عظيمة تكلفت اربعماية وسبعين كيس دراهم.

وفي ٢٤ ابريل مضينا الى مكان يسمى الكلوير Calvaire وهذا المكان هو كنيسة مبنية على راس جبل ومعمر فيه جميع الاماكن التي كانت في القدس الشريف وفيه جميع الاسرار التي تمت في الام السيد المسيح وهي معمولة بشكل عجيب مثل صلاة المسيح بالبستان وسكه وجلده وتيانه لعند بيلاطس ولعند حانان وقيافا وهيرودوس وحمله الصليب وصلبه ووقوعه تحت الصليب وقبره وقيامته وصعوده وارسال الروح القدس وبالنتيجة جميع الاسرار واحد واحد وكل سر قائم بذاته في شكل كنيسة صغيرة وحدة وما ناقص كل سر سوى النطق لانه شيء عجيب نظنهم اشباح زقصيم الروح فقط اشياء تخشع القلب الحجري وما قاسته سيدتنا مريم العذرى وما احتملوه التلاميذ والقبر مثل القبر الموجود في القدس الشريف قده وكسمه وبرجه فرد شيء وحقاً انها فرجة عظيمة وعجيبة .

في ورسالية Versailles

في ٢٨ منه رحلنا الى ورساليه لكي نودع الملكة والدولفين وغيرهم من الذين احسنوا الينا اخيين لاننا بقينا على نية (ص ١٠٢) السفر من بيريز وايضاً لكي نعمل حال الى اصحاب الديون لكي يصبروا علينا لانه وصل الى الاب ارسانيوس في هذه الايام مكاتيب صعبات فبعد ان وصلنا الى ورساليه وتشاورنا مع الذين يقدرون ان يساعدونا فاتفق الرأي على اننا لا نخبر الملكة بهذا الامر بل نبقيها الى شغلة تكون اكبر من هذه بل اننا نعطي عرضحال الى الوزير الاعظم منّا اليه من غير واسطه فكتبنا عرضاً وقدمناه من يدنا الى الوزير .

فارسل لنا الوزير الى عند افندي الديوان وهو ادمي لكي نفهمه جميع ما نريده مشافهة والمذكور يحكي مع حضرة الوزير فلما مضينا الى عنده رأينا ان موسه كاد وموسه سنتامان Saint Amant قد كتبا الى الوزير ضدنا والى افندي الديوان واخبراه ان رهبتنا ما لها نية تفي لاحد شيئاً وقد ارسلت من قبلها اناساً الى اسلامبول والى مصر وقد شحنوا مبلغاً يحرز ميا وفوا الى احد شيئاً وكاتبين غير اشياء مضرة في حقنا ورأينا الرجل متخلقاً علينا كثيراً فوقع بيننا الجدال فاراد ان يضبط ما في يدنا من الشحادة ولاتهم حكنا كتبوا له فاخذ الاب ارسانيوس يحاوله ويتقاتل معه حكم ثلاثة ارباع ساعة ولكن جدال يحرز ولم يزل يقطع عقله حتى اصلحه وازال من عقله جميع ما بلقوه اياه من الشر واخذ خاطره فبعد ذلك اوعدنا في فنطين بلو

يتكلم مع الوزير من خصوصنا ويعمل اشغالنا على الكيف لان الملك ذلك يوم كان عازماً على الذهاب الى فنطين بلو مع عيلته واهل المملكة الكبار لانه يمكث هناك حكم شهرين وفي كمبيانية شهرين لاجل التنزه والصيد .

ويوم الاثنين مضينا لكي نسلم على الملكة فرأيناها عازمة ذلك الوقت على الذهاب الى الكنيسة لتقداس فمضينا الى نحو باب الكنيسة لكي نتفرج على الالاي وعلى دخولها الى الكنيسة فابتدأ العسكر يمشي ناس بعد ناس بالحراب والبندق وبعدهم اقبل مسيو الدولفين ابنها وبعده الاتباع وبعده عسكر الملكة والاشراف والكردينال والاكابر الدولة وبعد كلهم اقبلت الملكة محمولة بالهودج الملوكي المكلف وحاملوها جملة اشراف واشرفت من الهودج فابصرتنا قبل ان تدخل الى باب الكنيسة وخلفها زوجة الدولفين ابنها وبناتها الثلاث مع جملة (ص ١٠٣) الاكابر وقواد العساكر فوقفت في باب الكنيسة ووقف كل الماشين ورفعت يدهـا واشارت الى الاب ارسانيوس ان يتقدم الى عندها .

فحالاً تقدم الاب ارسانيوس الى امام الهودج وعمل ما واجب عمله من تعظيم الى عظمة قدرها والدعا والخضوع فقالت له قد سمعت انك مريض الآن فكيف حالك فاجابها الاب اشكر الله يا سيدتي انني بنظرك بخير فقالت له احترس على صحة جسمك كل بالي عندك فاشكر الاب بخيرها. فقالت له كيف اشغالكم هل احد يعترضكم او يضادكم بشيء فقال لها الاب يا ستي الملكة اذا كان نظرك ونظر حضرة الملك علينا من يقدر يتعارضنا والآن قد جيئنا لكي نودع جلالتك ونرجو فضلك ان لا تنسينا مع رهبنتنا من حمايتك لان رهبنة مار انطونيوس الفقيرة مع رهبانها لم تزل تصلي وتطلب العون لحضرة صاحب السعادة والى كافة عائلتكم الملوكية واستقامة ملككم .

واستقامت تتحدث معي حكم ثلاث او اربع دقائق وجميع العساكر والاشراف واقفين وناظرين الى هذه الالتفاتة العظيمة ثم عملت لها تمنى ورجعت وهي دخلت الى الكنيسة وصار كل اثنين يتحدثان بما رأياه من هذه الالتفاتة من ملكة فرنسا الى راهب شرقي غريب او قريب شيء لم يصر ابداً ثم امرت اننا نمضي نرى ابنة الدولفين الجديدة التي كان بلغ عمرها قدر اربعين يوماً فمضينا لكي نراها فرأينا على باب مخدعها الحراس

والبندق والخدام مثلما على باب ابنة السلطان الكبيرة فطلبنا حسب امر الملكة فدخلت جليسة الملكة الثانية استاذنت من الدوشيس المعينة على باب ابنة الدولتين الجديدة وكانت التي طلبت الاذن مادامما اوزليه شاطرين (ص ١٠٤) الى ان صار الاذن وقلنا لهم ان الملكة امرتنا وصار اخذ ورد وعجق الى ان دخلنا .

فرأينا مثلما في خدمة ابنة السلطان الكبيرة بوابين وجليسات وخدام ورجالاً واشرافاً مع نساء اشراف واقفين هكذا لا فرق ابداً والمرضعات والمربيات ليلاً ونهاراً بالنوبة على الخدمة ثم جابوا تلك الابنة قدموها الينا وابصرناها وصلينا عليها واستمنا عندهم قدر ثلث ساعة نتكلم معهم وندعي للبنت واعطونا اثني عشر غرشاً وخرجنا من عندهم وتغذينا عند واحدة مادامه من جليسات الملكة وفي ٩ تشرين الاول رجعنا الى بيريز ومضينا الى عند رهبان من رهبنة ماري اغوسطينوس .

مفترجات بيريز

ونظرنا عندهم في الدير ساعة شمسية قد عملها احد رهبانهم اسمه البادري ادور وهذه الساعة مصورها في الحائط وعلى الارض ويشخص بها الابراج الاثني عشر وايام السنة الثلاثماية وستة وستون يوماً وكل يوم ما له من درجات الشمس وكل برج صورة الفلك المستولي عليه وعامل لمدخل الشمس ثنوية قدر مصرية كل واحد . وكل يوم تدخل الشمس من ثقب وكل شهر يبان فيها انتقال الشمس من برج الى برج وفي الاعتدال الربيعي والخريفي تقع الشمس على خط الاستواء المصور في هذه الساعة الشمسية وفيها معلمية فلكية عجيبة وهي في بيريز من جملة المفترجات المعتبرة جداً جداً لانها شيء عجيب حقاً وايضاً تفرجنا على مكان داخله العذراء مريم وابنها وملوك الفرس واتباعهم الجميع من شمع كافور وهم صنعة عجيبة والرجل الذي يبده يفرج الناس عليهم حين يبتدي يتكلم مع العذراء تبتدئ العذراء تأشر بيديها على ابنها وتتكلم من غير صوت بل بحركات يديها وعينيها مثل انسان حي وحين يتكلم عن الملوك المجوس (ص ١٠٥) تراهم يتقدمون ويقدمون هداياهم بكل وقار وسجود حين يتكلم عنه اتباعهم تراهم يعملون اشارات العبادة وحين يتكلم عن يسوع يبتدئ الطفل يفتح عيونه وفمه ويبكي وتسمع صوته مثل صوت الولد الصغير ويحرك عيونه بيديه ويفترخ مثل الاولاد

الصغار حين يكون ويبحث بيديه ورجليه ويصرخ ولا تظن الا انه ولد حي صغير ناطق لان مدينة بهريز حاوية على جميع صنائع الدنيا وكل شيء يصير في بهريز يصير اكمل مما يصير في غير مملكة يكفي ان ما يكون له مدفع صغيري ومعلمين كثير من الذين تكلموا بلغات مختلفة .

روان Ronua

في ١٩ تشرين الاول ورد لينا مكاتيب توصية باطلنات من الرهبان في جميع المدن التي نريد تسكيها في برطانيا ونرمنديا من بلاد فرنسا ورحلنا يوم التاسع عشر من بهريز الى سان جرمين الذي هو بعيد عن بهريز خمس ساعات ونزلنا عند رهبان الريكوله من رهبنة مار فرنسيس واستضفنا عندهم الى يوم الثالث والعشرين ورحلنا من هناك في قوجيه يجرها سبعة رؤوس خيل الى روان وكان داخل تلك التوجيه ثمانية انفار واحد راهب يسوعي وواحد اكليريكي Clerc ونحن واربعة انفار رجال ونساء .

وفي ٢٦ دخلنا روان فرأينا ان مطران روان ما هو موجود في روان بل في مكان بعيد عن روان سبع ساعات فنزلنا مكاتيب التوصية التي هي معنا واخذنا ننتظر مجيء المطران لناخذ منه دستور الشحاده وقد سمعنا من الكثيرين انه غير ممكن ان المطران يأذن لكم ان تشحدوا في ابرشيته فوقعنا في المرض القديم الذي كنا واقعين فيه حين دخلنا بهريز وهذه المدينة غنية (ص ١٠٦) جداً متجرُها كبير واكثرهم بازركان ويدخل اليها مراكب كثيرة من البحر الى النهر الجاري في وسطها وهو المسمى سين Seine وهو الجاري في كل فرنسة وهذا النهر في روان عريض جداً ومركب عليه جسر مبني على شخاتير وعريض جداً ويسلك فوقه اثنا عشر خيالاً صفاً وعلى اطراف الجسر من الجانبين يسلك فوقهم ثمانية انفار وارض هذا الجسر مبلط جميعه بالحجر وطول هذا الجسر حكم اربعماية ذراع ومع كل ذلك حين يصل اليه مركب تراهم ينتحونه من نصفه يصير مثل زقاق يمر منه المركب ويعد يرجعونه مثل الاول مع انه مبلط وله مصاطب كما ذكرنا على طوله وفي نصفه مبني اوضتان كل واحدة تسعة اذرع وتسع خمسة عشر نفراً ام عشرين ومع كل هذا ينتحه لمرور المركب ويرجع وتسلك فوقه قوجيات وخجلات وخيل وحين ينقص الماء يرجع الجسر الى ما كان عليه وعلى كافة هذا النهر مخازن على طول النهر وكل مخزن نظنه خان او كنيسة عمارة مكلفة غير ان عمارة مدينة روان ما هي مكلفة مثل عمارة بهريز .

وبها كنايس بناء قديم وعجيب قوي مكلفات وهم ست وثلاثون كنيسة ما عدا الديورة وكنيسة نطردام مكلفة واحسن من كنيسة نطردام بباريز وثمن جرسها واحد وستون قنطاراً حلبياً وخمر هذه المدينة قليل ويشربون ماء التفاح عوض الخمر غير ان اللحم والطير والجبن والنجاص والتفاح كثير ورخيص واسم هذا الجرس الكبير المذكور جورج فرمبواز ويحتاج خمسة وعشرين نفر الى دقه حين يدقونه.

وبها دير البنديكتين وهو (ص ١٠٧) دير مكلف جداً وله كنيسة مكلفة جداً ثم الشرطروز Chartreux اي رهبان السكوت ثم دير خارج المدينة بعد ثلثي ساعة وهو بناء جديد وياكله من دير وبناء عجيب ومكلف جداً وذهبنا الى عندهم وعملوا لنا واجباً كثيراً وتغذينا عندهم غذاء مكلفاً وعندهم خمر طيب واجتمعنا معهم في اوضة الريس حكم ساعة ونصف وقوي صار لنا معهم التهو واعطانا اربعة غروش حسنة.

وحضرنا في روان عيد جميع القديسين في كنيسة نطردام اي كنيسة السيدة الكبيرة كنيسة المطران ودقوا ذلك اليوم الجرس الكبير المسمى جورج فرمبواز الذي صوته يرعد المدينة وسبع مرات يدقون هذا الجرس في السنة بسبعة الاحياد الكبار وسبعة ماية قدم دوره وسمكه نصف ذراع وعلوه خمسة اذرع سلطاني وهو مركب في مكان صعدنا اليه بثلاثمئة درجة كل درجه اعلى من نصف ذراع ويوم عيد جميع القديسين واجهنا المطران وهو قبلنا بوجه بشوش واعطانا اذن نشحد في ساير ابرشيته اربعة اشهر وذلك بسعي وكيله لان جبنا له مكاتيب توصية من بباريز واعطانه المطران ثمانية غروش حسنة ووكيله اعطانا غرشاً.

ثم بعده ابتدينا نشحد في جمعة واحدة كنيستين ولكن عطاهم قليل لان اهالي هذه المدينة بخيلون واعطونا اوضتين لاجل السكنى بكراء ثلاثة وثلاثين غرشاً بالشهر وهذا ارخص ما يكون.

فبعد ثمانية ايام جاء خوري ذلك الصايح وقال لنا اسمعوا مني اخرجوا من هذا البيت لان حيث هذا البيت عاطل وهذا شيء يضر بسمعتكم ولم يعد احد يشحدكم فصرنا في خطرين ان استمنا هناك نخاف لئلا يتلف اسمنا وان خرجنا نخسر الذي يتبقى لنا من السلف (ص ١٠٨). لاننا كنا اعطينا سلفاً من الاول ولكن رأينا يان طلوعنا انسب لنا لاجل اسم رهبنتنا ولو خسرنا السلف الباقي. فاخذنا نفتش على غير مكان فما قدرنا نحصل

لنا مكاناً مناسباً فعرضنا امرنا الى الخوري المذكور وعلى غير خوارنه وتعملوا بينهم مشورة وسألوا عن المكان الذي ساكنينه فراوا بان الامر بخلاف ما كان يظنه الخوري والبعض من المحبين قالوا لنا ان الامر خلاف فعدنا ذلك الوقت استقمنا هناك الى حين رحيلنا من روان وصار لنا محبون كثيرون في روان ولكن عطاهم قليل.

ثم نخبر عن نهر روان. انه كما ذكرنا عريض جداً بالمدينة ويجري خارج روان مسافة ثماني عشرة ساعة ومنه يختلط بالبحر من ناحية مدينة دياب التي هي في ابرشية المطران المذكور وهذا النهر هو من العجائب لانه مشهور بالمد والجزر كل اربع وعشرين ساعة يفيض وينقص مرتين وذلك تابع لايام القمر لانه في ابتداء القمر يصير المد من نصف الليل الى قبل الظهر بساعتين ولم يزل فيضه الى الوقت المذكور قبل الظهر وحد فيضانه يبصل الى حد بعد الظهر بساعتين ومن بعد نصف الشهر يبتدئ ينقص زيادانه الى حد اخر الشهر الى ان يرجع الى اصله اي قبل الظهر بساعتين وهذا معتاده دائماً لانك تراه صباحاً فايضاً الى حد ما ومن بعد الظهر ترى صار النقص به ويرجع الى الاولي وهذا المد والجزر الذي في هذا النهر هو جاءٍ من قبل البحر لان البحر حين يمد تراه يدخل الى النهر ذلك المد ويحشر ماء النهر ويرده الى الوراء ومن هذا يفيض ماء النهر وترى المراكب دائماً منتظره مد البحر لكي تقدر تدخل بسهوله الى النهر وتدخل منه الى روان لان بدون المد لا تقدر السفن تدخل في النهر ولا الى روان وكذلك ايضاً اذا ارادوا الخروج من روان على هذا النسق ينظرون المد والجزر وقد (ص ١٠٩) اظهروا لنا الاباء اليسوعيين في هذه المدينة محبة زايدة وشحدوا لنا من مدرستهم ثلاثة وثلاثين غرشاً وثلثاً.

وفي هذه المدينة يعتري اهلها مرضان وهما مرض السكتة والثاني مرض البهق وهو انه يصير جسد المعتري بهذا المرض شبه جلد النمر مبقع كله باسود وابيض لانه نوعان ومن يموت بهذا المرض ان لم يدفنوه بعد موته باربع ساعات والا يتمزق جسمه ويتناثر وهذه الامراض تصير الى اكثر سكان هذه المدينة.

ورهبان سان بنوا Saint Benoit لهم بهذه المدينة دير قديم وكبير جد ولهم كنيسة ما رأينا في فرنسا مثلها من حيث حسن عمارتها وبناها المكلف جداً ومن يقف في اوطا لا يفرق الامرأة من الرجل اذا كان واقفاً في آخرها من

كبرها وضيقا وعلوها وهي معتدة بالتناظر وتلعب البناء شيء يدهش العقل وهم داخل الدير بيت مائدة تراه مثل عمارة الكنيسة وربا ذا من مدينة ضيق قدر ماية ذراع تجاري وعرضها مقدار عشرين ذراع وفا ستة عشر شباكاً بلور كل شباك قدر باب مدينة وجميع الشبابيك ملبسون من البلور ومصور بهم جميع آلام المسيح واسراره جميعها واسرار مريم العذراء وغير اشياء جميلة تدهش العقل واكلهم طيب وتغذينا عندهم جملة امرار ولكن اكلهم صيامي من غير خلفر من انواع البيض والحليب والسمك من غير اللحم وقد عزمونا ايضاً رهبان الغليان بضيافة مكللة قوي ولكن مرادنا كانوا يطعمون خبزاً فقط ويعطونا الذي تكلفوه على هذه الضيافة كان اوفق لنا.

وبعد ان استقمنا كم يوم في روان صار لنا عز وشأن وافر لانهم صاروا يتهادونا من كنيسة الى غيرها لكي نقدس عندهم وكل كنيسة كنا نقدس بها كنت ترى ازدحام الناس علينا مثل ازدحام القداس الكبير يوم عيد عظيم والكهنة تراقبنا من كنيسة الى غيرها وقال لنا (احد) من بعض الكهنة يا ابانا قداسكم علمنا كيف يجب علينا ان نحترم الاسرار الالهية وكيف نقدس مع انه كل كاهن هناك حين يقدس تراه كانه ملاك. انظر الى تواضعهم.

ورأينا هناك ساعة مركبة على بوابه وهي ساعة كبيرة جداً حتى سميت الساعة الكبيرة. ومن كبرها تراها معبية البوابه (ص ١١٠) وعرضها من اعلاها وقد نظرنا ساعات كثيرة في بهريز وغير اماكن ولم نرَ قدر كبر هذه الساعة.

وابرشية المطران بهذه المدينة كبيرة جداً لان (فيها) يبلغ الف وثمانماية كنيسة وكل كنيسة وفا رعية قايمة بذاتها ومن حيث الغنى غنية جداً جداً وقد رأينا بها اغنياء اذا ارادوا ان يعرفوا كم يملكون من الاموال يتعبون كثيراً وما يقدرون يعرفون على التحقيق كم يملكون وهذه المدينة مرتبة الاحوال والنظام وبها مجمع برلامنت parlement اي جمهور المتشرعين وفا شريعة قائمة بذاتها تخص البازركان وحدهم وشريعة تخص احوال البلد ونظامه والدعاوي بهذه البلد حالا يقطعون الشريعة ويحكمون بخلاف شرايع الافرنج.

اليساري

وفي فرنسا رهبنات لا عدد لها جئنا على شرحهم لاجل الطولة ولكن نقول عن رهبنة الماتورين Mathurins وهذه الرهبنة تلبس ابيض وله ثوب السيدة وله توب مثل ثوب الكرمليته وهذه الرهبنة تشحذ طوال السنة من فرنسا ومن جميع انحائه وبها جمعوه بعد معيشتهم ولوازمهم يرسلونه مع جمعة من رهبنهم الى بلاد الغرب مثل تونس الغرب وطرابلس الغرب وبقية الجزائر ويذكرون به اليساري الموجودين هناك من المسيحيين .

ولما كنا في بيريز سافر من عند هذه الرهبنة ثلاثة انفار الى الغرب وبعد خمسة اشهر رجعوا الى فرنسا بداية وخمسة يساري ومن الجملة حرمة وابنها معها وحين وصولهم الى فرنسا كل بلد الذي يمرون بها يعملون لهم زياحاً مكلفاً ويمشي اليساري في وسط الزياح ومن جانبي الزياح بعض كنائسيين يشحذون للرهبان المذكورين حتى يعرفوا على اليساري ومنها يفيض بعد المصروف يبقونه ايضاً لاجل مشترى يساره وقد جمعوا اموالا كثيرة من هذه الزياحات وفي ١٥ كانون الاول وصلوا اليساره المذكورون الى روان وعملوا لهم (ص ١١١) زياحاً في روان وحضرناه وهو زياح مكلف مثل زياح الجسد وصار ضرب مدافع كثيرة وكان طول الزياح قدر ثلث ساعة وهو مركب من رهبان وكهنة واولاد مدارس وبيارق وصناجق وبدلات وغفارات وحاملين عود الصليب المقدس وصورة سيدتنا مريم العذرى واليساره في النصف وحول كل يسير قدر عشرة اولاد صغار لابسين كتونات بيض وبعضهم لابسين لبس ملائكة بجناح وعلى روؤسهم اكاليل البعض منهم من الذهب والبعض من الفضة والازهار ومزنرين بزنانير فضة شكل الجنازير وروس الجنازير في يد اليساره وجميع اهل البلد تراهم مع الزياح لاجل الفرجة وترى اكثر من مايتين اب كهنة شحادين على الطرقين يشحذون لاجل هذه الرهبنة واطلاق اليساره ثم انه استقام هذا الزياح قبل الظهر بساعتين الى ست ساعات بعد الظهر وترى الطبول والزمور والآلات الطرب مرافقة الزياح والتراتيل والانغام شيء يسكت عنه .

عند مطران روان

وفي ٦ كانون الاول ارسل قدس المطران كلفنا لكي نتغذى عنده ثاني يوم ولكن لتعلم بان هذا المطران هو من اكابر فرنسا اولاً لانه ابن

اكبر اشراف فرنسا وثانياً لانه كردون بلو Cordon bleu[1] اي صاحب وظيفة سلطانية مثل الوزير ثالثاً لانه كبير كنايسائية سلطانة فرنسا ورئيس رابعاً لان له ابرشية من اكبر الابرشيات الموجودة في فرنسا لان مدخول ابرشيته كل سنة مايتا كيس دراهم وهو غني جداً ومحبوب من الجميع حتى يوم الذي ظهر خبر اننا اعزمنا عنده بلغ الخبر الى كل البلد انه عزمنا لتغذاء عنده.

وذهبنا ثاني يوم لعنده فاستقبلنا بكل محبة وبشاشة وجلسنا عنده معه على المائدة وكان موجوداً على المائدة نحو من قنطار فضة من اواني وغيره ومن حيث الاطعمة والخمر شيء يسكت عنه ما رأينا ولا اكلنا مثله ابداً ولا شربنا مثل ذلك الخمر ووجد على مايدته اثنا عشر نفراً من اكابر الكنائسيين سكان روان وتفاوض معنا بالحديث كثيراً وسألنا عن رهبنتنا وعن جملة رهبانها وعن ما يخص الشرق والزم الى تاييد ذلك اليوم بان يعزمنا لعنده ثاني يوم وثاني يوم الذي هو عيد ميلاد الرب (ص١١٢) بالجسد تغذينا عند نائبه صحبة جماعة من الاكابر الكنائسيين الذي كل واحد مدخول وظيفته الكنائسية عشرون كيس دراهم كل سنة وبعده شحدنا ثلاثة ايام عيد الميلاد في ثلاث كنائس هذه اسامیها: كنيسة السيدة وكنيسة المطران وكنيسة سان طوين وايضاً كنيسة الايسوعية وقد اوقدوا في ذلك اليوم في الكنيسة اليسوعية قدر القي ضوء ما بين شموع وقناديل وغير اشكال اضوية وجميع هذه الاضوية معمولة شكل كتابات وزهور وغير اشياء ووضعوا المزود مع الحيوانات والرعاة كانهم شيء طبيعي ويوم عيد الختانة ايضاً صنعوا جميع ما يخص الختانة وجعلوا تلك الاضوية بنوع آخر احسن نظام من يوم الميلاد.

ملعوب الاوبره Opera[2]

وفي ٣٠ من الشهر ذهبنا مع الخوري الى كنيسة مار بطرس والى كافة نهر روان فرأينا واحداً هناك ناصباً بيتاً كبيراً قدر قاعة كبيرة وداخله

---

١) وسام فرسان الروح القدس وصليب القديس لويس كان ملوك فرنسا قبل ثورة ٨٧ يمنحونه الى ذوي المقامات العليا.

٢) حوالى سنة ١٩٦٥ في سينما ريفولي في بيروت نصب جماعة من الطليان مسرحاً للماريونت marionnettes كانت تمثل عليه روايات اشخاص اصطناعية صغار وكانت معلقة بخيطان يحركها الفنان بحركات تشبه منها بالطبيعة فيبدو للناظرين اليها من بعيد كانها تمثل الفصل من تلقاء ذاتها

مملوء كراسي وخانات مضمومة ثلاثة مقامات وكل مقام وله اجره معلومه اي الذي يجلس في المقام الاول يعطي ثلاث مصريات والمقام الثاني يعطي ست مصريات والمقام الثالث يعطي اربع مصاري وناصب هذا البيت على حافة النهر وهو رجل بدوي الاصل وفي هذا البيت شكل قنطرة كبيرة مثل مذبح كبير وعليه موضوعة عدة اشخاص مقدار الفي شخص منظومي الوضع وجبت ان اذكر بعضهم كل بمفرده من تلك الاشخاص ومن جملة هذه الاشخاص منظوم ميلاد السيد المسيح وكلها يخصه من حيوانات ورعاة وملائكة ومار يوسف وسيدتنا مريم العذرى وغير جنود كلها يخص بيت حم والميلاد فابتدأ المعلم صاحب هذا الملعوب يتكلم اولا مع الرعاة ويحثهم على الذهاب والسجود الى يسوع المولود في بيت لحم فحالاً تحركت الرعاة بحركة كانها طبيعية ونزلوا هداياهم عن رؤوسهم بكل احتشام وورع ووضعوها امام مريم العذرى وامام (ص ١١٣) مارى يوسف وتجندوا على ركبهم امام يسوع وبدأوا يومون بايديهم ورؤسهم على موجب ما كان يتكلم صاحب الملعوب وكان بين هؤلاء الرعاة واحدة ابنة فجلست عند رأس الطفل واخذت بكل احترام تنتظر الى وجه الطفل وفي ذلك الحين بدئ الطفل يبكي يبكي ويتحرك بيديه ورجليه ورأسه كانه ولد حي عمال يبكي ففي الحال تلك الابنة تسلمت السرير الراقد عليه الطفل واخذت تحركه كما الوالدة تحرك السرير الى ولدها وتفعل اشارات كانها تتكلم معه ولكن كل هذا بحركة كانها طبيعية ثم بعده ظهر نجم يضيء في ذلك المذبح وصار يمشي في سماء ذلك المكان كانه كوكب وظهر بعده ملوك الفرس راكبين على خيول مكللة وجمال وتوق واتباع وعساكر وجنودهم تابعين النجم وخرجوا من باب مكلف في ذلك المكان كانه باب مدينة والخيل ماشية بهم وذلك الباب واطئ فكل واحد منهم انحنى واحنى رأسه تحت الباب مثلما يكون انسان ذو عقل ولم يزالوا سايرين حتى قربوا من دار هيرودوس فعند ذلك غاب عنهم النجم واذا بواحد جندي من جنود الملك اخرج بوقاً كبيراً شكل زمر ورفعه على فمه ونفخ فيه صوتاً حتى كاد يسمع من مسافة فحالاً انفتح هناك باب بيت هيرودوس وظهر منه جندي يبدد بوق مثل ذلك البوق وزعق فيه وكان يميل على الجانبين اي يعطي خبراً الى الجانبين وبدأوا

اما تلميها فكان بواسطة يد الفنان اخفية وراء المسرح والبعد بينها وبين الناظرين يحول دون تمييز الخيطان التي كانت تلميها . وان ما رأيناه منها في بيروت دليل على ان صاحب الرحلة صادق بما قاله وقد ابدع بوصفه في هذا المشهد كما في غير ذلك مما قاله عما رآه من عجائب وغرائب تكاد لا تصدق.

يتخاطبون مع بعضهم عن اين يولد المسيح وظهر حالاً هيرودوس وهو جالس على كرسي وديوانه حوله مع عظما اليهود واجناد وعساكر واخذ يسأل عن محل فعند ذلك خرجت الفرس من المدينة وعند خروجهم ايضاً احنوا رؤوسهم لاجل قصر الباب وكل واحد منهم كان ينحني تحت عتبة الباب ويمر (ص ١١٤) فعند ذلك حين خروجهم من المدينة ظهر لهم النجم وبدأوا يتبعونه حتى انتهوا الى حيث الطفل حالاً نزلوا عن خيلهم والجند الذين معهم تسلموا تلك الخيول والملوك اخذوا قراباتهم بيديهم واتوا الى حيث الطفل وسجدوا كل واحد بعد رفيقه على ركبهم وكنت ترى كل ملك حين يسجد يأتي واحد من اجناده ويرفع التاج عن راسه وحين ينهض الملك يسجد بكل وقار وهيبة ويقبل يد الطفل ويضع الهدية امامه وترى الطفل حالاً يميل رأسه الى نحو الملك ويظهر على ذاته اشارة الرضى والفرح ويفرح بيديه ورجليه كانه فرح ثم ترى مريم العذرى ومار يوسف يشكران فضل ذلك الملك وقبل ان ينهض الملك يرجع ذلك الجندي يضع التاج على رأس الملك والثلاثة ملوك قدموا هداياهم على هذا النسق وخرجوا مسافرين من غير ذلك الطريق الذي اتوا منه فبعد ذلك هيرودوس جمع مجمعاً من احبار اليهود وتحقق منهم عن اين يولد المسيح واظهر امارات الغضب جداً وامر بقتل كل اطفال بيت لحم واذا بجلاد مقبل وفي يده ولد طفل ماسكه من يده وامه وراءه تبكي وتتململ على الجلاد وذلك الجلاد ضرب ذلك الطفل بالسيف وقطعه شطرين فحالاً ام ذلك الطفل وقعت ميتة بعد ان لطمت على وجهها ثم بعده رأينا قطيع غنم ظهر في ذلك المكان كانه غنم طبيعي لا فرق وبدي يرعى واذا بديب كاسر خرج على ذلك القطيع فبدأ كلب الراعي ينبح كثيراً مثل نبح الكلاب بكل صراخ والراعي نائم وهجم ذلك الديب على تلك الاغنام وخطف غنمة وذهب واذ بالراعي انتبه من رقاده واخذ عصاه وركض في اثر ذلك الديب ولحقه وبدأ يضربه بذلك العصا والديب راكض في اثر الغنم وداخل بها الى مغاره هناك ولحقه الراعي وغاب الاثنان واذ بعد قليل خرج الديب وفي فمه الغنيمة من غير طريق والراعي يضربه بالعصا وغابوا الجميع عن العين فما رأينا والا بظلمة عظيمة كانها ليل دامس واذا بساعة تدق من ذاتها فبعد ان دقت الساعة واذ بديك ظهر. ورفرف (ص ١١٥) بجناحيه وزعق ثلاثة اصوات كانه صوت ديك طبيعي ثم بعده طلعت الشمس من فوق الجبل ولكن شمس حقيقية تضيء ولها شعاع وبدت تتعالى مثل الشمس فعند ذلك نهض واحد

واهب حبيس بثياب رهبان وبيده عكاز وبيده الاخرى جرس فرفع قلوسته ونظر الى فرق ودق الجرس الذي بيده فحالاً نهضت تلك الاشخاص الموجودة وبدأوا جميعهم يشتغلون من كافة الصنائع والحرف مثل حدادين وصياغ ونجارين حطب ، حلاقين ، خياطين ومن سائر الحرف وكنت تسمع اصوات الجواكيج والآلات مثل اصوات الالات المدنية ترى الحدادين ثلاثة يدقون على فرد سندان والمعلم بيده الكلبانون وماسك الحديد والجواكيج طالعين ونازلين مثل شغل البشر المعلمين شيء يدهش وكذلك بقية الصنائع جميعهم يشتغلون مثل شغل هؤلاء كانه طبيعي ولا يفرق شيئاً ابداً وكل منهم مشغول في شغله وحين يقصر احد في شغله من هؤلاء يزعق فيه صاحب الملعوب يبتدئ يشتغل بعجلة وبعد ذلك زعق عليهم حتى يطلقوا شغلهم فوقفوا جميعهم بطالين فبدأ يشتغل كل واحد بمفرده ويتكلم معه ويامره وذاك يضع ما يامره وبعده غابت الشمس وطلع القمر والنجوم فعند ذلك امر المعلم الى صاحب الارغن ان يعمل موسيقى فحالاً نهض شخص والفت ظهره الى البشر وجلس على كرسي وعمل نوبه بالارغن مثلما يكون انسان وحين يتكلم صاحب الملعوب يسكت الارغن والشخص الذي يدق الارغن يلتفت الى نحو البشر ويتفرج عليهم كانه انسان ويسمع ما يقوله المعلم وحين يسكت المعلم ترى الشخص يركض الى الارض حالاً ويبتدئ يدق بالارغن ولكن موسيقى صحيحة فبعد هذا الملعوب واذا بكل ما كان تغير وظهر رجل ذو هيبة عظيمة وظهر نوح وبدي ذلك المهيب يخاطب نوح ويامره بعمل السفينة لانه يريد يرسل طوفان عرمرم فبدأ (ص ١١٦) نوح يعمر السفينة الى ان كملت حالاً ظهر نوح وعائلته وفتح كوة السفينة فبدت الحيوانات تقبل من جميع انواع الحيوانات منها زوجان زوجان ومنها زوج وبدأوا يدخلون السفينة من غنم وبقر وغزلان وبقر وحشي وسباع وحمير والنتيجة من اجناس الحيوانات وكلهم اشياء طبيعية كانها احياء وبعده وردت من جميع اجناس الطيور وجميعهم يدخلون من كوة السفينة ثم بعده دخل نوح وعيلته وبعد قليل واذ بغيم كثيف ظهر من وراء الجبل وصار ظلام وبدأ البرق والرعود والصواعق وفتحت مياذيب السماء وانفجرت ينابيع الغمر وكلها له الرعد والبرق والصواعق بزيادة حتى صار وهم على كل الارض وبعده خرج ذاك الراهب الحبيس الذي مرّ ذكره وصار يدق جرسه ويزعق قد دنى آخر الزمان وبعد قليل واذا بالسفينة عايمة على وجه المياه وكنت ترى البشر مخنوقين على وجه الامياه والبعض يسبحون على

وجد الماء لكي ينجوا بالنسيم وبعده يختنقون وكل هذه الاشياء ما تنظرها الا شيء ضيعي فتعالت الامياه فوق الاجبال العالية وما بقي على وجه الارض ولا نفس حية . وتلك السفينة عائمة على وجه الامياه ثم اخذت الامياه تنقص قليلاً قليلاً فعند ذلك فتح نوح كوة السفينة وسرح الغراب فمضى ولم يعد بل انه كان يرعى من لحوم البشر المخلوقين من جسم الى غيره ثم بعد ذلك سرح نوح الحمامة فمضت وجاءت على الامياه ورجعت الى السفينة الى عند نوح ثم سرحها مرة ثانية فرجعت وفي فمها غرق الزيتون ولكن حين رجعت رأت ان السفينة مغلقة فوقفت على جانب السفينة الى ان فتح نوح الكوة ودخلت وكل هذا بحركة تدهش كأنها حية وبعد هذا تكشف الغيم وظهر قوس وقدح داخل الغمام وظهر ذلك المهيب وخاطب نوحاً واعطاه (ص ١١٧) العهد وكل هذا كانك ناظر لشيء عياناً من غير ان يفرق عن الاشياء الطبيعية وسرح نوح الحيوانات التي كانت معه في السفينة وخرج مع عياله وكمل المتعوب . انظر الى هذا المتعوب كم مكلف دراهم . وبعد خلوصه زعق صاحب المتعوب على صاحب الارغن فدق نوبة وختم بها المتعوب .

وفي ١٤ منه رحلنا من روان الى البوف Elbeuf وسافرنا في سفينة في النهر المسمى السين والسفينة مكلفة قوي وكبيرة تسع مقدار ثلاثماية نفر وما تكلفنا سوى خمسة عثمانية على كل نفر والسفينة نظيفة بخوانات ومساند حتى الراكب لا يتعب وبعد وصولنا الى البوف شحدناها واستقمنا بها سبعة ايام وجمعنا بعد مصروفنا من مدينة البوف ثلاثة وخمسين غرشاً وصار لنا بها عزية وضيافات كل يوم صباحاً وعشية وهناك دير راهبات ارسلين urselines عملوا لنا عزيمة مع عزية زايدة واعطونا احد عشر غرشاً احساناً .

البوف هي قصبة بعيدة عن روان خمس ساعات وهي غنية جداً بها ثمانون كرخانة جوخ احسن جوخ فرنسا يخرج من عندهم وهذه الكرخانات على حافة النهر وحول هذه القصبة ضيعتان وتجبال[1] غير أغنياء اسم الواحدة كوتبه والاخرى اميات ومناخ هذه القصبات طيب جداً ومرخصة لان اللحم والطير رخيص لان الديك الخصي قدر الديك الهندي مشوي حاضر ثمنه ثلاث عشرة مصرية وخبزها طيب ومشروبهم ماء التفاح وثمن سوداية الخمر حماني مصاري وبها كنيستان الواحدة لمار يوحنا والاخرى لمار اسطفان وكل

١) وتجبال = همال كذا في قاموس برتلمي في اللغة الحلية .

كنيسة ام الحرية موجودة لتفقد شؤون المئين دم من البيوف . تشتمل هذه الاخوية على اربعة عشر نفر شيوخ وكل سنتين يغيرونهم ويضعون غيرهم وهؤلاء يخدمون شؤون ويقيمونهم ويعطون عنهم قداديس وكل جمعة يقدسون قداساً كبيراً للميتى مع غير قداديس وهي علامة هذه الاخوية (ص ١١٨) ويشتركون بها الاب حين يدخلون في الكنيسة يضعون على كتفهم شكل مثلث عريض وله من وراءه شكل صورة قبر ملزوق فيه وكل جمعة يخدمون يوماً واحداً .

وفي ١١ رجعنا الى روان لكي نكمل شهادتنا ونشهد شؤون نفرضه Chanoine Notre Dame وكتبنا عرض حال الى كبانية الاسرانس من المئين يخسرون رزق المسافرين في البحر ولم يعطونا شيئاً بتألم ان كل منا اعطى بمفرده وفي تلك الايام قبل بكم يوم صار فرتونه في البحر وخسروا مثل مائة غرش لان غرق بهذه الفرتونه جملة مراكب ومضينا هناك الى عند رجل حكيم البارستان مال روان اسمه موسى لاك ورأينا عند المذكور قاعتين ملآنتين اشياء عجيبة وغريبة من كل الاشياء كلها عمل هندسة وبعض حيوانات اشكال وانواع ورجال ونساء مجردين من اللحم وهم عظام ومنهم مصبرين البطن والامعه والعروق وهم باقون على حالهم ومن جملة القطع التي عنده بندقية يعبيها من الهواء ويقوس بها رصاصاً من غير بارود وقد قوس بها رصاصة على دفة سفينة قدر اربعة اصابع ونفذت فيها الرصاصة الى الوجه الاخر ونفذت الى الحائط قدر اصبعة وقد عباها مرة واحدة وقوس بها خمسة عشر قواساً ونفذ كل قواس من الدق وهي معباية من الهواء وترمي الى خمسين فشخة بعداً .

ورأينا عنده غير عجائب لاجل تفريغ الهواء من الاين (؟) وغير اشياء التي ترمي ناراً من الهواء من غير واسطة كلها اشغال هندسية عجيبة. وصفة اخراج هذه النار هي هكذا: كرة زجاج بلور قدر بطن صلاحية[1] مدورة ومسدودة الفم ومركبه على دولاب محفوظة جوانبها بقلوب من الخشب الصلب وعليهم اثرفت والقلوب المذكورات معلقات ببكر والبكر لهم وتار شبه دولاب غزالة القصب او دولاب الفتالين وامام تلك الزجاجة قصبة قدر ذراع ونصف من التنك ورأسها مسدود نحو الزجاج ومثقوف عليه شريط

١) الصلاحية هي القنينة وتعرف ايضاً بالالفية وصاحب الرحلة من بيت الحكيم او الطبيب وله المام بلوازم المقاقير والصيدلية .

اصفر وهذا الرأس يدق تلك الزجاجة ورأس (ص ١١٩) تلك القصبة الاخرى رفيع ومثقوب صغير وحين يريد ان يخرج النار يأمر واحداً ان يدير ذلك الدولاب الكبير بسرعة والمعلم او غيره يضع يده على تلك الزجاجة فبعد قليل ترى النار خارجة من ثقب تلك القصبة الشك مثل شرار نار وكثيره هذه النار نار حقيقية لانه حرق بها روح النبيذ جملة امرار ومن العجب انه منها وضع هذه الزجاجة لا يخرج منها نار ما لم يوضع عليها يد انسان وزعم جميع المعلمين ان هذه النار هي نار الحرارة الغريزية التي في الانسان. وعنده زجاجة ملآنة ماء صافياً وفيها قطعة شريط نافذ من فمها يوضع ذلك الشريط في فم تلك القصبة الشك ترى حين تخرج هذه النار تدخل الى الصلاحية وتصيرها كانها كرة نار وجميع الحاضرين يحسن يرجع في ظهرهم اذا اندفروا بهذه النار كانه احد جذبهم بعصا على ظهورهم وزعموا اصحاب الهندسة ان هذا شيء طبيعي.

بلاد دياب

ثم في ٢١ شباط رحلنا من روان الى بلاد دياب Dieppe وكان رحيلنا في قوجيه طويلة يسحبها اربعة رؤوس خيل وكنا اثني عشر نفراً داخل هذه القوجية نساء ورجالا وقسيساً كبوجياً من الجملة وكنا متضايقين جداً لاننا كنا على بعضنا لا نقدر نتحرك وقد تضايقنا جداً حتى حسبنا ان ارواحنا ضجرت والطريق توحل جداً من شدة الامطار وعادت القوجيه تغرز في الارض الى قرب قلب الدولاب وتهنا في الطريق حتى لزم صاحب القوجية ان يستكري واحداً لكي يهدينا على الطريق وتعذبنا بهذه الخطرة قوي كثير وكان تناتنا يومها سبع ساعات ونمنا تلك الليلة في ضيعة وكانت عشاؤنا فخذه غنم منتنة ميشحة وقضينا تلك الليلة تعباً وجوعاً لا اراك الله مكروهاً وتاني يوم سافرنا على هذا النسق وكان نهار تلج وبرد شديد وبعد الظهر بثلاث ساعات وصلنا الى دياب ونزلنا عند الكبوجيين وقبلونا (ص ١٢٠) بكل محبة لكن ذلك اليوم فقط وتاني يوم قالوا لنا بطريق المحبة واعتذروا منا ان ما عندهم مكان ولا فرشات سوى الذي اعطونا اياهم وزعم ان يأتي لعندهم تلك الليلة رهبان والرئيس ليزوروا ديرهم فلزم اننا نبصر لنا موضعاً لنسكنه.

وفي ٣ شباط (اذار؟) فرقنا مكاتيب التوصية على اصحابهم ومن جملتها

مكتوب الى واحد يزاركان اسمه موسى داويد ولمذكور قرأ مكتوبه واعطانا عشر مصريات وما اراد يتكلم معنا ومكتوب ايضاً الى مدامه لورانت فما رادت ان تبعرنا ولا اخذت مكتوبنا بل ارسلت لنا ثماني مصاري وغيرهم كثيرون ما اعطونا شيئاً وبعده بيوم اخذنا مكاتيب الى الخواجة فالخوري الوحد رأيناه قبلنا واعطانا اذناً لشحد متل باقي الفقراء في باب الكنيسة لانه رجل جعيدي لا يفهم كلام ولا يترك المتكلم يتكلم من شدة غباطه قد قدرنا نستوفي معه معنى فوحد عند الخوري الآخر فالمذكور قبلنا بكل محبة واوعدنا انه يعمل لنا كل جهده بامعافنا وانه وجد عنده خوري ذلك الصليح واعطينا مكتوباً ووعدنا بكل محبة واخذنا اوضة في ذلك المكان وفي اليوم الرابع مضينا الى عند حاكم البلد وعند الاكابر المتكلمين وقرأهم امر السلطان فاذنوا لنا بالتحادد واستنسنا الى اليوم الاحد لكي يوصوا لنا في الكنائس فيوم الاحد شحدنا مدينة دياب وصار لنا محبة من اهل المدينة وصاروا الجميع يلحقونا من كنيسة الى كنيسة لاجل سماع قداسنا لكن اهل مدينة دياب ما هم خيرين وكان ايام شحادتنا كلها برد شديد وهذه المدينة قوي باردة حتى انهم يضعون مناقل النار على المذبح لكي يقدروا يقدسون .

وهذه المدينة بحر وجميع اهلها على كيفهم مراكب لصيد السمك وغالب تجارتهم من السمك وبها اغنياء (ص ١٢١) وكثير منهم اراطقة اي كلوينية وعمارة هذه المدينة جميلة جديدة وسبب تجديدها لان الانكليز من مدة سنين حاربوا هذه المدينة وحرقوها وهدموها بالاطواب والقنبرات فلاجل ذلك عمرها الفرنساويون عمارة جديدة وهي معمرة على فرد علو كأنها سطح واحد ولا حيط اعلى من حيط والامكنة كلها متساوية وبها ثلاث كنائس .

القول على مدينة دياب بهذه المدينة الكنائس ثلاث الواحدة سان جاك واحدة سان رمي والثالثة في الصالح البراني وبها دير للكبوجيين وايضاً الى الكرملتانية وغيرها وبها ينتهي نهر السين المذكور الجاري في كل فرنسا وهواء هذه المدينة رفيع طيب احسن من (غير) اماكن ولكن بردها شديد جداً والمعاش والسمك وغيره رخيص وخمرهم ماء التفاح والفواكه كثيرة والطيور كثيرة واسكلة هذه البلده قوي حسنة لانها عمارة سلطان فرنسا حديثاً حتى تدخل المراكب للميته بسهولة الى حد البلد وتخرج من البلد بسهولة من

غير واسطة لان المينا على حافة البلد ومعمره من الحجر وشيء متين قوي واستقمنا ببذه المدينة اربعة عشر يوماً .

وفي اليوم الخامس عشر رحلنا الى مدينة ساذ ورثي بعيده عن مدينة دياب ستة ساعات ودخلناها في ١٥ شباط وصار لنا تعب كثير بالطريق وهذه المدينة قصبا بالنسبة الى غيرها لكنها باب بحر واهلها جميعهم متجرهم السمك لان على كيسهم مراكب جلة لاجل صيد السمك وسمكه هو الزنكله anguille وهنا مكان الذي يجي منه الزنكله الى كل البلاد وغالب اهلها متظاهرون بالفقر لان على ما بلغنا من اناس ثقاة انهم اغنياء ولكن كسبهم وعيشهم فقري لانهم بكسم فلاحين ولا لهم اكل مثل بقية البلاد التي مررنا عليها وبخلاء جداً لان الدراهم عندهم قليلة وعزيزة وشحدنا ببذه البلدة ثلاثة ايام جمعنا اربعة غروش فقط وتكلفنا كراء (ص ١٢٢) الطريق اليها مع مصروفنا واكلنا وكراء اوفة عشرة غروش وثلثين فيكون خسرنا من كيسنا ستة غروش .

فيكان Fécamp

ورحلنا منها في ١٨ شباط الى فيكان Fécamp بعيده عنها ست ساعات وهي قصبة على حافة البحر والنهر وبها جماعة معتبرون واكابر واشراف ولكن غنائم قليل وبها فقراء كثيرون وهواؤها مليح وبردها شديد لان الجليد في شوارعها سمكه ثلث ذراع وبها كنائس واديره كثير لم نشرحها لاجل الطولة ولكن نقول عن دير به ذخيرة ثمينة وهي داخل صندوق من ذهب وهو دم سيدنا يسوع المسيح جزؤ وهذه ذخيرة فريده ووحيده ما رأينا مثلها في كل حياتنا وهذا الدير يعطي صدقات كثيرة للفقراء كل يوم يفرقون على جميع المساكين خبزاً ومن مدة زمان صار ببذه البلد غلاء وكانوا يفرقون كل يوم على الفقراء الذين يبلغ عددهم ثلاثة آلاف فقير لكل واحد نصف ليرة خبز وكانوا يرسلون يشترون القمح والشعير باغلى الاثمان ويعطونه للفقراء ونحن حين وصولنا الى فيكان نزلنا عندهم وقبلونا بكل محبة وسعوا امامنا لاجل جمع الاحسان من البلد ووجدنا في ريس حاجاً معنا من روان والمذكور جاهد معنا كثيراً واعطونا عندهم اوقيتين كبار ونرشتين نظاف مكلفات وخزمتكاريه تخدمنا واكلنا عندهم وبعده اعطونا ستة عشر غرشاً احساناً وشحدنا من المدينة اربعة واربعين غرشاً ورحلنا منها الى مدينة لواز .

ولم يتركونا نرحل من عندهم حتى عملنا المرفع الكبير عندهم في دير ووظيفة رئيس هذا الدير مثل الاسقف يلبس تاجاً وصليباً وعكاز ويحكم على ست وثلاثين كنيسة اعرام يقيم لهم بامره خوارنة ويتحتم الاعتراف لكهنة ويحكم عليهم مثل المطران في ابرشيته . (ص ١٢٣) ويحكم ويقاصص الكهنة اذ اقتضى الامر مثل المطران وله في رومية نايب عام وهم اشياء متشددون في قوانينهم ولما دخلنا فيكان رأينا رئيس هذا الدير مريضاً مرضاً ثقيلاً وهو كان يتقايا كلما يأكله واستقام بهذا المرض .

وهذه المدينة اي فيكان مينا عسرة جداً وقد عطلت مراكب كثيرة بهذه المينا ولاجل ذلك ابطلوها واراد السلطان ان يعمرها فاخبروا اصحاب خنده[1] بان هذه المينا اذا راد يعمرها يجب ان البحر ياكل من البلد قدراً عظيماً فلاجل ذلك تركوا عمارتها والان لا يمر بها سوى الشخاتير الصغار .

واما الذخيرة التي مر ذكرها اي ذخيرة دم المسيح سبب وصولنا الى هذه المدينة كان على هذا النسق وهو ان نيقوديموس حين نزل جسد يسوع عن الصليب جمع الدم الاقدس الذي جرى من تلك الينابيع المقدسة وجمعه كله في حق من فضة واخذه عنده وقبل موته اعطاه لابنه البكر واوصاه بحفظه مكرماً وموقراً وكتب شهادته على لوح من نحاس وقصة هذا الدم الكريم واوصى ابنه ان قبل موته يسلم هذا الدم لابنه البكر مع لوح الشهادة بعد ان يوضح هو ايضاً شهادته بهذا اللوح ويوصي ابنه ايضاً ان يفعل كما فعل عن سلف وصار كل من اولاد نيقوديموس يورث لابنه البكر هذا الدم الكريم ومع وضع الشهادة باللوح المذكور الى جملة اجيال الى ان صار حرب اورشليم من الامم الغير مومنين وتسلموا مدينة القدس ونهبوها فحين راى ابن نيقوديموس ان الامم تغلبت على المدينة ما عاد يقدر يحفظ هذه الذخيرة فاخذها وهربها (ص ١٢٤) الى مدينة يافا ودخل هناك الى بستان قريب البحر وقطع شجرتين وحفرها قدر ما يسع ذلك الحق واللوح ووضع ذلك الحق واللوح داخل هذه الحفرة وسد عليهم سداً محكماً وكتب على لوح آخر صورة المجورية (ما جرى) كلها من ابتدائها الى انتهائها وسبب وضع هذه الذخيرة الشجرة وعلقها والقاها في البحر من النهر الجاري هناك الى البحر فقذفت الامواج باذن الله وارادته الى مينة فيكان المذكورة الى فم نهر داخل الى البحر ووقفت هناك واورقت واعطت اغصان مثل شجرة وهي بفم ذلك النهر .

١) الخند لفظة فارسية معناها الفن .

الى يوم خرج حاكم فيكان للصيد فصادف اريل ابيض الذين فدخل الحاكم يكد وراه حسب عادة الصيادين مع كلاب الصيد فلا زال ذلك الاريل يركد والحاكم تابعه حتى انتهى ذلك الاريل الى عند تلك الشجرة والتجأ اليها ووقفت الكلاب حالاً بعيداً عنه جداً وما عادوا يقدرون ان يتقدموا الى قدام ولا قدماً واحداً ولا يقتربون لذلك الاريل فلما وصل الحاكم المذكور لنحو الكلاب وراهم وقوفاً فاراد ان يقترب الى ذلك الاريل فما امكنه ولا امكن جواده فحالا عرف ان ها هنا موجود شي واجب له الاحترام فنزل عن جواده وتقدم الى الاريل فرآه ملتجئاً الى الاغصان التي هي اغصان شجرة التين مع ان هناك غير ممكن وجود التين فارسل حالاً اناساً من غلمانه يخبر مطران المدينة الذي هو رييس هذا الدير بما رآه فحضر المطران حالاً مع من احل الاكليرس لكي ينظروا ما هذا العجب فحين وصول هولاء غاب عنهم ذاك الاريل فنظروا الى اغصان تلك التينه فرأوها مفرعة من تينة غير مغروسة في (ص ١٢٥) الارض اخرجوها من الماء واخذوا ينتشون ليروا ما سبب ذلك فراوا ان في تلك التينة مكاناً مغلوقاً ففتحوا ذلك الثقب فراوا ذلك الحق واللوحين المكتوبين بلغة العبرانية وعرفوا ان هذه ذخيرة مكلفة فاتوا باناس يعرفوا بهذه اللغة العبرانية لان هناك موجود اناس يعرفوا بساير اللغات فلما قرأوا ورأوا ذلك الدم حالا تقلوه بزياح عظيم مع الفرح الكلي ووضعوه بهذا الدير ولم يزل الى الان ونحن تشرفنا بنظرها ورايتا الالواح الاثنين وضعوا مكان هذه الشجرة التين باب من حديد ولم يزل الى الان باقي لاجل الاحترام ومن هناك تاخذ اهل البلد ماء لاجل المرضى لانه اشفى كثيرين ورايتا جانب ذلك الحق حق اخر من الذهب وفيه حنجور من البلور داخله دم ايضاً فسألناهم ما هذا الدم فاحكوا لنا انه من مدة ثلاثين سنة اتى الى عندهم راهب من غير رهبنتهم وتوسل الى الريس ان يقبله في رهبنته فتوسل اليه كثيراً فقبله ومكث مدة سنين عندهم الى وقت الفرصة ونشل من هذا الدم الاقدس قليلاً بهذا الحنجور وهرب به فمع نزوله الى البحر هاج عليهم البحر حتى كاد يغرقهم ورجعت بهم السفينة امراراً عدة الى مينة فيكان واشرفوا على الغرق لا محال فلما راى ذلك الراهب المسكين ما حل بالسفينة نوى نية ثابتة انه يرد ذلك الدم في مكانه ان نجا من الغرق فحالا هدي عليهم البحر وارتدت تلك السفينة الى مينة فيكان فخرج ذلك الراهب وقر معترفاً بما فعل اما الريس فرد ذلك الدم الى الدير فوضعوه جانب ذلك الحق (ص ١٢٦) في ذلك الحنجور وشهادة حقيقية وتذكاراً لتلك الاعجوبة والتقديس

برنردوس حين يتفلسف قبلاً وسابلاً هل المسيح اخذ كل دمه بعد قيامته وصعوده الى السما الدم الذي جرى من جروحاته الخمس الاقدس فيجاوب هذا القديس قبلاً ان المسيح ترك من دمه على الارض ولاثبات ذلك ان في مدينة فيكان في دير البنديكتين موجود من هذا الدم الزكي حقاً[1] .

وفي ٢٥ شباط رحلنا من انوار الى مدينة متنليه فهذه مدينة صغيرة طيبه الهوا وهناك دير راهبات بنديكتين ورييستهم اه ابّه Abbesse وعلى صدرها صليب من ذهب وتمسك بيدها عكاز جدوي من فضة وذهب وفا مجمع مش مضرين الابرشيات وتحكم على ثلاث عشرة كنيسة برواز Paroisse وهي تقيم لهم خورزة ووكيلها لا يقدر يمنح احد سر الاعتراف من الكهنه الا بدنب وتحكم على جميع هذه البراويز والكنيس مثل المطران في رعيته ولكن فا عقل ومعرفه عجيبه وفا يارجية ووكلا ومديرون والكل من راهباتها ومن كهنة وعوام وهذا الدير متشدد في قانون لبسهم مثل لبس القديسة كلارا عتمية بيضاء على جبينهم وثوب اسود طويل للذيل وزنار جلد قليل العرض وعلى صدرهم لثام ابيض الى الزنار وغطاء اسود طويل الارض الى وعلى رؤوسهم قميص صوف وما ياكلون اللحم ابداً سوى في المرض وبعد نصف الليل بساعتين ينهضون الى الصلاة الليل وابوابهم مسكره ما يدخل عندهم احد قط غير ولد ابن اثنتي عشر سنة وهذا يدخل في الاعياد الكبار لاجل دق الارغن وفم (ص ١٢٧) ترتيل عجيب وجليل جداً في صلواتهم واصواتهم رايقة جداً وحين ما وصلنا لعندهم نزلنا في ديرهم وقبلونا جداً بكل محبة وعملوا لنا واجباً كثيراً وبأمر هذه الريسة قدرنا ان نشحد هذه المدينة واجانا منها احسان ثمانية وعشرون غرش لان هذه المدينة ما هي غنية وصغيرة وصار لنا من الدير والريسه ستة عشر غرشاً وارسلنا من عندها على خيل الدير وهم خيل مكلفات الى مدينة انوار دخلناها اول يوم اذار .

هذه المدينة جليلة وحسنة جداً ازقتها عراض جداً حتى ان كل زقاق يسلك بعرضه ستة اوجيات على عرضها جانب بعضها وجميع بناها علواً واحداً وفا مينا عجيبة ما راينا مثلها قط والمد والجزر بها امر عجيب لانه حين يمد البحر تمد هذه الميناء حكم ميلين وحين يجزر يرجع الى الوراء ميلين وحين المد ترى الاماكن اليابسة بحراً وحين الجزر ترى البحر يبساً وكل يوم

---

١) ان صاحب الرحلة يذكر بامانة ما سمعه دون ان يبت في صدق الرواية وان استشهد بقول القديس برنردوس فذلك حيث برنردوس «يتفلسف» ومعناه ان الخبر يحتمل الشك واليقين.

يصير هذا المد والجزر مرتين وفا جسر يفتح ويغلق لاجل دخول المراكب وخروجها وفا غير مينات ملاح وكبار وجميعها مبنيات بالحجارة وهي دخلات البحر حكم ميل ومن هناك يلاقون المراكب حين تدخل وهذه الاماكن كلها منتزهات جميله جداً وهي مدينه حصينه قابله للحصار لان بينها وبين لوندرة بلاد الانكليز اثنا عشر ساعة في البحر واصوارهـا حصينة جداً والنواطير ليلاً نهاراً على الاصوار مثل مافنه بفلايق سلطانية وفي الميل كلما دقت الساعة ملزوم برج من الابراج يتبعه يدق الطبل وتتبعه جميع الابراج النواطير ومن يكن منهم نايم ولم يدق طبله يرتبوا جزاه تاني يوم من حاكم المينا وفا ابواب عجيبه في النهار جسوره وفي الليل يرفعونهم يصيرون الابواب وحولها خنادق وجاري بهم الماء من البحر وفا قلعة جليلة حصينه ذات اضواب ومدافع وقنبرات وغيرهم منهم يرمون بعد اربع ساعات واكثر (ص ١٢٨) وبها كنيسة السيدة وهي برواز مثل كنيسة المطرانية وكنيسة ماري فرنسيس وفيها دير كبوجيين قوي ناس ملاح نزلنا عندهم وفي هذه المدينة خزنتان سلاح قوي جليلات كل واحدة داخلها اربعون انف بندقية وما يتبعها من سيوف وفرد طبنجات وسياخ وبختات اشكال اشكال وغير اصناف من العدد والمكلف وشحدنا باباً باباً لان الخوري الكبير ما كان يومها حاضراً هناك لكن اخبراً وكيله المسمى بلباش عمل معنا محبه وواجب وعرفنا عنده مرتين واستقمنا هناك احد عشر يوماً ورحلنا منها الى ابرشية لزيو Lisieux لان مدينة اللوار وهي اخر ابرشية روان وكان رحلتنا منها في ١١ ادار ونزلنا في شختور صغير وكنا به قدر ستين نفر نسا ورجـال وكنا به على بعضنا البعض وكان ذلك الوقت البحر كبيراً جداً وهذه المسافة من لوار الى انفلور Honfleur خطرة جداً غاية الخطر واستقمنا في البحر ساعة ونصف وصلنا الى انفلور ورحلنا تاني الايام من انفلور على الخيل الى لزيو وهذا الطريق عسر جداً كان من شدة المطر والريح لانه ما سكن عنا ولا دقيقة واحدة حتى كانا ذلك اليوم جميعه كانا ماشين في نهر ماء ومررنا في طريقنا على مدينة صغيره اسمها بونت دوديك اي جسر المطران بعيده عن انفلور ثلاثة ساعات ونطرنا هناك فطور الظهر لان الايام صيام الاربعين منها رحلنا الى لزيو ووصلنا بعد الظهر بخمسة ساعات لانها بعيده عن جسر المطران اربعة ساعات ونزلنا هناك في اوبرجه وثاني يوم قابلنا المطران المذكور قبلنا باشحبة والود واعطانا ازناً اننا نشحد في ايرشيته.

مدينة لزيو مدينة صغيرة ظريفة فيها اربعة كنايس الواحدة كنيسة المطران

وبقية الكنايس خرابة وبها ثلاثة ديورة الواحد كيوشين والثاني جاكوبين والثالث مطورين وبها دير نسا بنات من رهبنة مار بنديكتوس وهذه المدينة مشحونة بشر كثير وهم اغنيا وما هم كرما احسانهم قليل واستقمنا ببذه المدينة نحو عشرة ايام في دير رهبان الجاكوبين النوم عندهم والأكل عند رهبان المطورين الذين يشترون الاسارى كما مر القول وصار لنا عندهم عزيه وكرامه وعند الخوارنه وعند اكابر (ص ١٢٩) البلد وشحدنا في هذه المدينة نحو اربعين غرشاً فقط لانهم بخلاء ورحلنا منها في ٢٣ اذار الى دير قريب من ذلك بنديكتين اسمه كرميل قد تغدينا عندهم واعطوا كل واحد منا غرشين احسان ورحلنا الى ديرين الواحد نساء والاخر رجال بعيد الواحد عن الاخر ربع ساعة وقبلونا في الديرين بكل محبة ولكن دير النسا كان لنا به توصية من جماعة مكلفين فاوردت الريسة اننا نزل عندها وارسلت اتت بخيلنا من مكان الذي كنا به الى ديرها واستقمنا عندها يومين بعزيه وكرامه زايده وقدسنا ثم ورتلنا بلساننا وقوي انبسطت واعطونا احسان ومكاتيب وحمايا مكلفة وسافرنا من عندهم وبعد ان ودعنا دير الرجال واعطونا احسان ايضاً وهذه الاديرة ثلاثة منفردة في البرية عن البشر وهم أغنياء بزياده والاديره مكلفة جداً ومدخولهم في كل سنة يدخل لكل راهب وراهبة قدر القين غرش وريسة هذا الدير من اكابر فرنسا وراهباتها ايضاً بنات اكابر ايضاً وفيهم ايضاً جماعة يشتغلون في البساتين مثل البساتنه لاجل التسلاي ليلاً يكونوا بطالين .

ورحلنا من عندهم في ٢٤ اذار الى بونته دومير وهي مدينة صغيرة ظريفة وبها اربع كنايس كبيرة سان انطونيوس والثانية سانت سيبكر والثالثة سانت جرمين والرابعة سانت كليمنته وهذه تخص ابرشية روان وهذه المدينة ماؤها كثير واهلها محبون واستقمنا بها اربعة ايام ورحلنا منها الى انفلور ونزلنا عند الكيوجيين وعملولنا واجباً وعزية كثيراً لانهم موصايين هكذا بنا من ريسات الديورة المذكورين وواجهنا وكيل السلطان حاكم المدينة واعطيناه مكتوباً له معنا من الريسة وقبلنا بكل محبة وتغدينا عندهم غداه مكلفة واعطانا اربعة غروش احسان وواجهنا خوري المدينة واعطيناه مكتوباً له معنا والمذكور اعطانا قابلية وعمل لنا محبة ووصى لنا ثاني يوم في الكنيسة وصيّة مليحة واستقمنا هناك احد عشر يوماً لان الخواء (ص ١٣٠) كان عاطلاً قوي من حيث المطر والحوا وغيره وشحدناها باباً باباً ودكاناً دكاناً وهذه المدينة باب بحر من لوار الى هناك والى غير بلدان ولكن هذه المدينة كبيرة وظريفة جداً ولكن ما هي غنية مثل غير مدن وفي هذه المدينة المد

والجزر في البحر شيء عجيب وغريب لان المد حين يصير في هذه المدينة يغطي مسافة ثلاث ساعات في البحر حتى يصير اليبس بحراً عرمرماً وتجري به المراكب وحين يجزر البحر يصير موج ونو عاصل مثل نو البحر وبعد كام ساعة يجزر البحر وترتد الامياه الى الوراء ويصير اليبس وترى على ضفة الطريق مراكب مرسية على الارض والرتق عمال رزق واحطاب وغير اشياء لكن على الارض وهم ينتظرون المد ويسافرون به من على اليبس بكل هينه مثل ما يكونون في وجه البحر ويزجر ويمد على اربع وعشرين ساعة مرتين وحين يمد يرفع تلك المراكب عن اليبس ويسافرون ونظرنا في مواضع كثيرة حصوراً والارض تحتها ناشفة يابسه رمل يابس وبعد ساعة مررنا بها واذا بها تحتها الماء اكثر من عشر قامات ماء وامواج وهنكمه مثل البحر ومسافه من لزبو الى بونت دومير خمس ساعات ومن بونت دومير الى انفاورا اربع ساعات والطريق طيب سهل سوي ثم رحلنا الى بونت لوديك في ٦ نيسان وهي بعيدة عن انفاورا خمسة لويكات اي اربع ساعات وهذه المدينة ما هي غنية وهي على حافة النهر وبيوتها اكثرها لهم منافذ على البحر وكل بيت وله بستان واهلها محبو الغريب ومناخيها طيب واستقمنا بها يومين وشحدناها ورحلنا منها الى شكان في ٨ نيسان وذلك اليوم وصلنا الى شكان وذلك النهار أسوأ الايام من شدة المطر لان من حين خرجنا حتى دخلنا كانتا غاطسين في نهر ماء وهواء بارد وبرد شديد ما قاسينا مثله في كل ايام سفرنا الى وصولنا الى ديف وهي قصبة فقيرة وبها ملعب نزلناه ووقدنا به النهار لكي ندفي وتيبس اثوابنا بالممكن وتغدينا هناك ورحلنا الى تكان وقد خف المطر قليلاً وبرد الهوا كثيراً الى ان وصلنا الى تكان ونزلنا عند رهبان البندكتين وهو دير مكلف (ص ١٣١) اكثر من الغني كيس وغني جداً وثمنا تلك الليلة عندهم وتاني الايام تغدينا عندهم وارسلنا اخذنا خيلاً بالكراء ورحلنا الى ابيبوا حيث صراية المطران وحين خرجنا من الدير الى حوش الدير لكي نسافر راينا صاير هوي شي ما يقدر بالعقل ومن شدة الهوا كان يحملنا ويردنا الى ورا حيث ما هو متجه على غير خاطرنا لنا وللرهبان الذين خرجوا لكي يودعونا فاخيراً التزمت الرهبان انهم يهربون الى داخل الدير خوفاً من الهوا وما سمحوا لنا ان نسافر في مثل هذا الهوا ولكن نحن اردنا السفر لانه بقي لعيد الكبير يومين فسافرنا في شدة ذلك الهوا وكان الهوا يردنا من شدة المطر وللخيل ولم نزل مرافقين لهذا الهوا الى بيوه وتبعد هذه عن كان ست ساعات لكن من شدة المطر والهوا ما عادت تسلك الطرق.

بيوه Bayeux

فوصلنا الى بيوه Bayeux وروسنا مثل الطبول وكان وصولنا اليها ما بين المغرب والعشى قدر ثماني ساعات طريق ونزلنا في اوستاريه اخذنا لنا اوضه بثرشتين واسم تلك الاوستاريه كرند اوتيل وتاني يوم الذي هو يوم السبت العظيم واجهنا المطران المسمى بول دابرت دلوين مطران بيوه وكان موصى فينا من اعيين ومن سفطانة فرنسا القديسة توصية مكلفة بتحرز فحين رآنا حالا اعطانا عي قبول وواجب وحيرنا ان علو شان الفكة قد اوصاني بكم جداً جداً وقد حلت بقدومكم البركة واخذ يتلطف بنا ويعطينا قابلية عجيبة واعطانا اذناً اننا نتحد في ابرشيته ثلاثة اشهر واطعمنا معه على المايده مرارًا عدد واعطانا اربعة وعشرين غرشاً واستقسنا عنده وطلب منا ان نقدس في كنيسته السرية التي داخل صرايته لكي يسمع قداسنا فجيناه بالطاعة وتاني يوم حين قدسنا منذ ابتدا القداس الى تمامه وهو راكع على ركبه بكل عبادة وتضرع وبعده اعطى اذناً الى الجميع انهم ياتون ويدخلون الى كنيسته لاجل سماع قداسنا وكان يصير زحمة عالم مثل تراب واعطانا اذناً اننا نقدس في الكنيسة الكبيرة والشنوان (ص ١٣٢) مع الدوين رييس الشنوان Doyen des chanoines ايضاً اعطانا هذا الدستور وللمطران واحد كاهن يخدمه في الكنيسة محل الصلاة اسمه لابه جيل L'abbé Gille فهذا المذكور تعين لمرافقتنا في كل اشغالنا في اشغالنا في مدينة بيوه من قبل المطران.

ومدينة بيوه هي مدينة صغيرة بها نهر جاري في وسطها وبها خمس عشرة كنيسة رعية ومن جملة هذه الاديره ديران لاجل الفقرا والمرضى وواحد الى اولاد وبنات الفقراء لكي يعيشوا هناك واكلهم وكسوتهم وجميع معاشهم من هذا الاسبتال ولا يقدر احد على الخروج من باب هذا الاسبتال بغير اذن معلوم ومصرح والابواب جميعها مقفلة عليهم دائماً وجميعهم يشتغلون الى الاسبتال الى حين يكبرون ويتعلمون الصنعة كالواجب وذلك الوقت الذي يطلب الخروج يخرجونه على خاطره ودخلنا ورابنا به اكثر من ثلاثماية بنت ومقدار مايتي صبي مع الرجال البعض مرضى وبعضهم لاجل تعليم الصنايع وايضاً موجود اسبيتال اخر حيث بنات الفقراء من جميع البلد ومنهم موجود بنات اكابر يرسلونهم لكي يتعلموا في هذا الاسبيتال حبياً من غير اجره وشغلهم الاتذيشا ويوجد هناك راهبات يسمونهم اخوات المحبة والمذكورات يقدمون كلما يلزم لهذه البنات من لوازم مشغل الاتذيشا وجميع الذي تشتغله

هذه البنات من الانديشا يبيعونه وبما بلغ ثمنه يرفعون رسالته الذي اصروه فقط والذي يفيض يردونه الى البنات كل واحدة حسب ما يخصها من غير ان يتذوقوا (؟) منه شيئاً ابداً وبهذه المدينة اشراف كثير من فرنسا واكثرهم حط الزمان بهم فاتوا وسكنوا هذه البلدة وهذه البلدة بعيدة عن البحر مقدار ساعتين وماؤها مالح ولكن يشربون منه ولا يضرهم وبها جملة صرايات مكلفة واهلها ذوو محبة وانس وبردها شديد وحرهد شديد والخمر عندهم قليل جداً وشربهم ماء التفاح ومعاشهم رخيص مثل الخبز والخضرة وغنامهم قليل ما بها متجر اكثر شغل اهليها الانديشا والجرابات الترنجيات والكتان وما اشبه ذلك واستقمنا هناك خمسة عشر يوم مطرابا عمل لنا واجب عظيم مع عزيه وكرامه كثيراً حتى انه (ص١٣٣) في يوم واحد ارسل لنا قوجيته التي يركبها ذاته وكان يسحبها ستة روس خيل وهي مكلفة اكثر من خمسة عشر كيس دراهم وارسل معها جميع خدامه وهم خمسة انفار بلبس مكلف جوخ احمر مزركش بالقصب والانديشا عرض اربع اصابع وذهب لكي يرافقونا منهم ثلاثة ركبوا خلف القوجيه واثنان قدام لكي يمشوا قربه وارسل معهم اكبر الكهنة الذين عنده اومونيه Aumônier اي الذي يقدس له ارسل لكي يرافقنا داخل قوجيه وارسل هذا الكاهن له به اوتيه (؟) شنوان كنيسة الاسقفية المذكور رجل مكلف جداً وصاحب علوم زايدة وهو من نسل اشراف ومن بيت اشراف وله علاقة من وظيفته من السلطان وهو معلم باهندسة جداً حتى ان سلطان فرنسا ارسله مرتين الى بلاد وينكي دنيا لاجل قياس الارض والحكم على البناء هناك لكي يعرف مناخ تلك الارض وحكمها المذكور وقدم معنا حوادث ومحبة زايده واعطانا احساناً وساعدنا كثيراً في اشتغالنا فركبنا مع المذكور ومضينا الى عند المطران الى صرايته التي هي بعيدة عن البلد حكم ساعتين وهي صرابة مكلفة ومعظمة جداً وكبيرة قدر قصبه وامامها حرش غاب وطول وعرض حكم ساعة زمان وذاك الحرش مهندم جداً كانه بستان منظوم مكثنا ذلك اليوم عند المطران في صرايته على أكل وشرب وعزيه ومشروب اشكال اشكال وقد تفرجنا عنده على بعض قطع واشياء تذهل العقل ومن الجملة تفرجنا على ذركة اي مخروطة وهي مكلفة عشرة الاف ثلث ومثلهم كثيراً مخرطات ومنهم واحدة المذكورة تخرط اشكال اشكال بمخرطة واحدة تقدر تخرط اشياء مدورة واشياء بيكار البيضة وما شيت تقدر بتلك المخرطة وكل ذلك بسهولة من غير تعب واعطانا من شغله قطع من عنده ومن فيل شغل عجيب واشتغل امامنا وتفرجنا عليه على شغله ثم رابنا

مرآة عجيبة وهي اذا وضعت هذه المرآة امام الشمس وسكت امامها عبد خطب عن بعد عشرة فرسخات (؟) انسان حكم (ص١٣٤) سنة اذرع ترى حالا عبد الخطب اللهب واحترق مثل اشتعال الكبريت واذا وضعت امام هذه المرآة في ظلام الليل شمعة مضيئة وجلس واحد امامها بعيداً عنها اربعين ذراعاً فانه يقرأ في اي كتاب اراد كما يقرأ في ضوء الشمس في النهار ولو مهما كان الخط دقيقاً ورأينا نظارات هندسيات تريك الشيء اكبر مما هو الثني وعشرين الف مرة مثلاً وضعت برغوث ونظرت تراه قدر ما هو واثنتان وعشرون الف مرة تراه قدر حابيه ورأينا عنده اشياء غريبة وعجيبة وهو من بيت اشراف فرنسا واصله لاحق الى دم السلطانه ومحبوب من السلطان كثيراً ومن جميع ارباب الدولة وهيبته لطيف وحسن الوجه جداً وهو في العمر نحو سبع واربعين سنة ولما اردنا ان نذهب من عنده رافقنا الى اسفل الدرج الذي في صرايته وودعنا بكل محبة.

ورجعنا من هناك الى بيوه لدير الرهبان البنديكتين وهو دير غني جداً وبناه حسن ورحلنا من تاني الايام الى شكان وفي بيوه تسعة كنايس مكلفات وقبلونا اهل بيوه بكل محبة وفي ٢٥ نيسان رحلنا من بيوه الى شكان وهذه ايضاً مدينة لطيفة جداً جداً واهلها اغنياء وهي كبيرة قدر روان بعيده عن بيوه ستة ساعات وبها اغنياء كثيرون وغير كرماء بل بخلاء وشحدنا في مدة ستة وعشرين يوماً لان بها تسع كنايس براويز كبار وبها دير لليسوعية ولهم مدرسة لكافة العلوم الكنايسية ولها مدرسة اخرى لكافة العلوم المعلومة مثل فلك وهندسه وطب ومنطق ولاهوت وادب ومدرسة ايضاً على هذا النسق مختصة للفلسفة واللاهوت وهي عند خوري سان سورور ومعلمها من كهنة هذه الكنيسة ولهم عادة وهي انهم على الغدا عوض القراة يكتاب يعملون مراسلة سؤال وجواب ما بين اثنين من اولاد المدرسة يوماً هندسة يوماً لاهوت يوماً طب يوماً منطق وقس على ذلك كل هذا عن ظهر قلبهم بغير كتاب ويسالون بعضهم عن الفلك والارض والمنازل وما اشبه ذلك وقد تغدينا عندهم ورأينا ذلك وتاهيك حين ترى اولاداً (ص ١٣٥) صغاراً في عمر اثني عشر سنة يتكلمون في علوم عالية جداً والرؤساء والمعلمون يسمعون لهم حتى غلط احدهم حالا المعلم الموجود يرده ويلزمه ان يعيد العبارة الى حينما يصححها وجلبوا غير مدارس ايضاً لتعليم لعب السيخ والسيف والحرب وما اشبه ذلك وبها دير كرملتانيه غير حافيين ودير سكلند مكلف ودير كبوجين ودير جاكوبين وبها عدة ديورة للنساء وبها دير بندكتين الذي

نزلنا عندهم وهو دير كانت جداً قط في عمرنا ما ابصرنا مثله لا في فرنسا ولا في مكان اخر وله كنيسة كانه بريه وسعته كبيرة وبها ارغن ثمنه اربعون كيس دراهم قوي مليح وكبير جداً وعلى ما احكوا لنا ان في ساير فرنسا غير موجود مثل هذا الارغن وحقاً ما رايتا مثله في كل ملك فرنسا ورهبان هذا الدير قانونيون ومشردون ورحومون للغرباء وعملوا معنا محبة وواجباً عظيماً مكثنا عندهم ستة وعشرين يوماً وكل يوم كانوا يعينون اثنين رهبان كهنة لاجل خدمتنا لان بهذا الدير كلهم كهنة وكلما يلزمنا كانوا يحضرونه لنا من غير ضجر ولا زعل وعندهم خدام كثيرون من العوام وكلمن له وظيفة تخصه ولم يقبلوا في رهبنتهم راهباً او كاهناً ما لم يكن دارس العلوم وهم ايضاً كنايس خاضعة لهم وهم مميزون من طاعة المتقرأن وفي هذه المدينة دير راهبات من هذه الرهبنة بنديكتين .

لكن يا له من دير قوي غني جداً جداً وله ام ريسه ابيس Abbesse على صدرها صليب ذهب وحين تكون في الخورس تمسك عكازه وهنا كنايس براويز خاضعة لها وها حكم على جانب من بلاد شكان وخارج كان موجود ستة مشنقات لاجل شنق المجرمين المحكوم عليهم بموت الشنق فيها مشنقتان تحت حكم ريسة الدير المذكورة واربع تحت حكم حاكم شكان لان هذه الريسة تحكم مثل حاكم وتامر بقتل بعض المجرمين المختصين بتربيتها وها جملة عساكر المتقلدين بآلة الحرب منهم خيالة ومنهم زلم ويوم عيد الثالوث (ص ١٣٦) الاقدس تاتي هذه العساكر كلها وهم متقلدون بآلات الحرب الى حول هذا الدير ويعملون زياحاً حافلاً مع اهل تلك الناحية في البلد كلها مع كهنة هذا الدير وهناك موضوع جنزير على الباب فكل منهم يوضع رجله على الجنزير ويرفع يده اليمنى الى نحو السما بنوع قسم انه دايماً الى الموت يحامي ويدافع ويطيع الى هذا الدير والريسة وبعدهم ياتي حاكم البلد مع اكابر المدينة وهم بنوع زياح ويركعون في الكنيسة ويقدم الحاكم مفاتيح المدينة بين ايادي الريسة ويقدم كل سنة حسب المعتاد ومدخول المدينة ثلاثة ايام منها دخل الى مدينة من مال السلطنة وغيره جميعه الى هذه الريسة وهذا دير الكنيسة اللطيفة جداً ما هي كبيرة بل مكلفة جداً وجميعها من الرخام والاحجار الكريمة تدهش العقل وها جملة اناس لاجل الموسيقه ماهرون جداً وها جملة من الراهبات ايضاً نوباتيسة ماهرات لاجل صلاة الاحتفالية ولهم اصوات شجيه ولهم خبره في دق ساير الالات مثل الارغن والشبابه وكنجه وغير الات وتقدمنا عند هذه الريسه مرتين وعملو لنا واجباً

واعطتنا حسنة والراهبات ايضاً عملوا لنا واجباً وهبة وهناك كنيسة بعيده عن شكان قيلاً وهذه كنيسة صاحبة عجايب كثيرة وظاهرة اسمها كنيسة السيدة مخلصة وقدسنا بها وزرناها وتغدينا عند كهنتها وهم شوان تابعين شوان كنيسة بيوه ومن سايير فرنسا ومن غير اماكن بعيده ياتون الي زيارة هذه الكنيسة ولان عجايبها ظاهرة في كل مكان وكل زمان ومدينة شكان بعيده عن البحر نحو من ثلاثة ساعات وهواها طيب وبردها شديد وصيفها قصير ولامطار دايماً غير منقطعة عنها ولا يالصيف وقد استقام بها المطر كل يوم سبعة اشهر وافسد زروعها مع كافة الغلات وصار ضرر عظيم في البلاد من قبل كثرة الامطار فرحلنا منها الى مدينة فالس Fals بعيده عنها سبع (ص ١٣٧) ساعات وقمنا هناك ليلة وحدة ويوم ٢١ ايار رحلنا الى سيس وبعد مطرانها مسافراً وهي بعيدة عن فالس عشرة لويكات اي ست ساعات ونصف ومررنا في طريقنا على مدينة ارجنتان Argenton وتغدينا عند راهبات الاسبيتال الكبير وارجنتان بعيده عن فالس خمسة لويكات ومنها الى سيس خمسة لويكات ودخلنا سيس فراينا مطرانها مسافراً في مدينة روان فرحنا لعند وكيله الخوري الكبير فما زاد يعطينا دستوراً اننا نشحد عنده من دون علم المطران فتوسلنا اليه كثيراً الى ان اعطانا دستوراً لنا اننا نشحد مدينة النسون الى ما ياتي المطران واجواب .

النسون Alençon

فرحنا تاني يوم الى النسون وهذه مدينة وسط ما هي كبيرة ولا غنية ونزلنا عند الكبوجية فما قبلونا الا غصب عنهم ونزلونا في اوضة عميقة وحين مكثنا حكم ساعة حسينا حالا ببرد لزج وبدت روسنا توجعنا فذهبنا نفتش على مكان غيره فلم نجد احداً يقبلنا لانهم قط ما ابصروا مثلنا بشراً ولا احد خطر لهم بشكلنا فصاروا الجميع يتعجبون منا حين يرونا واكثرهم يخافون منا وصرنا بذل عظيم من هذا القبيل وفوقنا مطر كثير فمضينا الى عند الخوري لكنه قوي ناس اجواد واحكينا له قصتنا فارسل معنا واحداً من اتباعه وذاك ايضاً بالجهد حتى قدر ابصر لنا اوضة في ملعب الدولفين وذاك المكان مع انه ملعب الا ان كراء الاوضة كان غالياً جداً واستقمنا هناك ثلاثة ايام قبعده يوم الرابع ارسل الانتدان Intendant واحداً من اتباعه لكي يعزمنا الى الغداء عنده على مايدته لاجل تاني يوم لانا سابقاً كنا مضينا الى عنده لاجل دستور الشحيده لانه حاكم البلد مثل باشة البلد

وتحت يده حكام في المدن التي هي تحت حكمه فقضينا ثاني يوم الى عنده وتغدينا عنده وعمل لنا واجباً (ص ١٣٨) سالنا عن مكان الذي نازلين فيه فاحكينا له عن مكان الذي نحن فيه فقال لنا ان ذلك المكان غالي عليكم ولكن انا برسل الى واحدة ريسة ملعب آخر يقال لـه المدن انزلوا هناك فشكرناه وبعده ارسل الى الريسة المذكورة وامرها بما وعد والمذكورة قبلت وانزلتنا عندها في ملعب المدن واستقمنا في المدينة اثنين نحو من عشرة ايام وشحدناها فما حصلنا منها مثل الامل بل صار لنا منها خمسون غرشاً لان اهلها غير كرام.

ورأينا بهذه المدينة رهبنة جديدة وهي بنات قديسه كلارة وهذه الرهبنة ضيقة وصعبة مثل رهبنة التراب واكلهم دائماً البقل ولا يأكلون سمك ولا بيض ابداً وصلواتهم طويلة صيفاً مع شتاء حفاة من غير ان يلبسوا باجرهم شيئاً وممنوع عندهم الاصطلاء على النار مع ان بردهم هناك شديد وكسوتهم مثل كسوة راهبات الكبوجين وايضاً رهبنة ثانية اسمها بنات العذراء ايضاً ضيقة الا انها ما هي مثل تلك ودير بنات بنديكتين ودير رهبنة زيارة العذراء ولكن سكانه بخلاء كثيراً ما رأينا مثل بخلهم في جميع فرنسا لاننا مضينا الى عندهم صحبة كاهنين وتوسلنا اليهم كثيراً فما امكن ان ناخذ منهم شيئاً ومع انهم لهم مدخول مقدار عشرة اكياس دراهم في السنة وهم ثلاث عشرة راهبة فقط وكانوا حين نطلب منهم حسنه يكون ويشكون لنا القلة وفي هذه المدينة اسبتالان برسم المرضى ورأينا بهذه المدينة ديرين وهما من رهبنة ما رأيناها قط جديدة ومن هذه الديورة صادر خير عظيم بكل فرنسا وهو انه دير الواحد الى البنات تخدمه بنات خايفات الله وفايدة هذه الرهبنة ان السلطان له جماعة بعلوقة يتوقعون لكي يخبروه عن اولاد الاراطقة مثل اراطقة كلاوينوس Calvinius وغيره من سايـر الاراطقات فمتى (ص١٣٩) صار له خبر حالاً يرسل امر الى حاكم تلك البلدة بالختي وياتي باوليك الاولاد من عمر سبع سنين واكثر فيرسلهم الى تلك الديورة البنات الى عند البنات والصبيان الى عند الرهبان وهناك يعلمونهم قواعد الايمان ويجعل لكل واحد منهم تعيين خمسين غرشاً وان وجد احد الاولاد ابوه ذو مال يلتزم ابوه بمعاشه بالزام السلطان له وهذه العلوقة جعلها السلطان لاولاد الفقراء وايضاً ترى اكابر من فرنسا يرسلون اولادهم الى هذه الديوره لاجل التعليم لانهم يعلمونهم الادب والاحتشام وخوف الله مع صنعة لان في هذه الديوره تعليم صنايع شتى حتى دق آلات الموسيقة وترى في كل دير من هذه الديورة جملة اولاد

وبنات لاجل العلم ورئيس دير الرجال رجل قديس محتشم عالم عامل واكثر من عنده في الدير تراهم قديسين وقد عملوا لنا هذه الديورة مساعده عظيمة ورئيس هذا الدير ارسل معنا اثنين كهنة لاجل الشحاده وهما كاهنان معروفان وقد شحدا لنا المدينة باباً باباً ولم نحصل حسب ما املنا ولولا هذان الكاهنان لما قدرنا نحصل نصف الذي حصلناه .

وهذه القصبة هي مدينة صغيرة قدر طرابلس وبناها مليح وهواها طيب لكن ماؤها مالح وبها نهر جاري وهذا النهر هو الفاصل بين نرمنديا وبين البرش واسم هذا النهر لاسرت La Sarthe ويتجر اهلها الكتان وشغله لان بهذه المدينة يشغل الكتان وشغل نساء هذه المدينة نوع تطريز يخص لبس الاكابر واشراف فرانسا ولكن شي يدهش العقل لانك ترى قطعة كتان او (ص ١٤٠) قطعة خامه مطرزه من هذا التطريز طولها نصف ذراع وعرضها اكثر او اقل يساوي احياناً قرب مايه غرش واكثر مع ان ما بها ذهب ولا فضة ولا تعب سوى مطرزه كتان ابيض الا ان شغلها شيء غريب وعجيب .

سيسي Sissy

وفي ١ حزيران رحلنا الى سيس رجعنا لكي نشوف المطران لاننا سمعنا انه رجع من روان فرجعنا ونزلنا عند البناديكتين وقبلونا وصار لنا منهم عز واكرام كثير ربنا يكثر خيرهم لانهم حنونين على جنس الغريب فسألنا عن المطران فرأيناه انه بعيد عن سيسي وايضاً وكيله رجل لعنده فحرنا في امرنا ولم ندر كيف عدنا نعمل لان الايام ذاهبة من غير فايدة ونحن من مكان الى مكان مثل المتزلجيه ولم قدرنا نحظى بالمطران لكي نتكلم معه ونبني امر شحادتنا في ابرشيته فالتزمنا اننا نرحل الى عنده حيث هو فاستخبرنا اني يوجد اناس قالوا لنا انه يوجد في يام بعيدة عن سيسي اربع ساعات تاس قالوا يوجد في ارجنتان او في فلورد وكل من هذه الامكنه في ناحيه بعيده عن مكاننا وبعده اعتمدنا نروح الى ارجنتان وان ما وايناه نمضي الى حيث هو وفي كل يوم يرسل له زخيرة الى ارجنتان فرحنا الى عنده للارجنتان فما وايناه قالوا لنا انه في مدينة يام وصار علينا المساء والدرب عسر علينا جداً من خصوص الوحل والخرش وخطر الدرب ونحن غرباء المكان ولا نعرف الدرب فتمنا في تلك الليلة وتاني يوم ترحل الى عند المطران فمضينا تلك (الليلة) الى دير الكبوجيين وترجيناهم لكي ننام عندهم تلك الليلة فقط وتاني

الايام نرحل الى عند المطران فما امكن ذلك فعرفنا عليهم الباطنات الذين معنا فبدوا يشكون حالهم انهم فقراء وما عندهم مكان ودعوا واحد من خزمتكارية الدير وامروه ان يمضي معنا يرينا الملعب لكي ننزل به تلك الليلة فقلنا لهم هل يليق بكم ان راهبين (ص ١٤١) كهنة غرباء يرقدان في اوبرجه ويكونان في بلدة داخلها اديرة رهبان فما امكن ان يقبلونا عندهم ولا نحن قبلنا ان ننزل في اوبرجه فرحنا حالا من ارجستان الى يام .

وكان وصولنا اليها ثامن ساعة من الليل فدخلنا الى يام فراياها قصبة فقيرة فطلبنا اوبرجه لكي ننزل بها فاخذونا الى اوبرجه دنية قوي وخربانه ووخمة كثير فطلبنا من الذي جابنا ان ياخذنا الى مكان انظف من هذا المكان فقال لنا هنا احسن ما يكون فالتزمنا ان ننزل هناك وسألنا عن مكان المطران فقالوا لنا انه عند ابنة اخته رئيسة راهبات فحالاً ذهبنا الى عنده بالليل ودخلنا الى عند وكيله واخبر المطران بقدومنا فحالاً ارسل احضرنا الى عنده واراانا محبة وقال لنا ان الاب توريس خوري روان الكبير ومطران روان اوصونا فيكم حلت بكم البركة ومطران روان منها عمل لكم واجب فانا مستعد ان اعمل لكم اكثر فطلبنا منه اذن ان نشحد سيسي لكي نرحل من يام لانها مدينة زغيرة وفقيره وما بها مكان لراحة الغريب فرضى بذالك وارسل حالا احضر الخوري وامره ان يعطينا اذناً مثل اذن مطران روان وبيبه لان ذاك ارسل له سابقاً مكتوب توصيه فينا واخذ المطران يستعذر منا حيث ليس يوجد عنده مكان في ذلك الدير لكي يقبلنا به وكان ذلك حقاً لان المطران واتباعه قد اخذوا كل اماكن التي تخص الغرباء في ذلك الدير فرجعنا من عنده الى الاوبرجه حيث كنا وتمنا هناك تلك الليلة وقضينا ليلة قوي ودنية من البرد الشديد والوخم وما شاكل ذلك تاني يوم رحلنا بعد اخذ الاذن والمطران امرنا ان ننتظره الى عيد الجسد فرجعنا الى سيسي وشحدناها بابا باباً ودكاناً دكاناً .

القول عن مدينة سيسي .

(ص ١٤٢) هي مدينة فقيرة ولكن بها أشراف كثيرون وشغل اهل هذه المدينة الكتان ونساؤها يشتغلون الصوف والقديمات والحرير وغير اشيا وبها اربع كنايس وفيها مجمع شتوان وحواها وماؤها طيب وعمارتها ما هي قوي مكلفه ولكن اصحابها اهل اناسه وبها مدارس للعلوم مثل الفلسفة واللاهوت وغيره واستمنا هناك اربعة عشر يوم وقلسنا عند المطران في كنيسة السر

في صرايته وتغدينا عنده واعطانا واحد ذهب وثمانية غروش ورحلنا الى عنسون Ançone ونزلنا في مكان الذي نزلنا به سابقاً ورحنا الى عند حضرة الاب جوبارد واظهر لنا محبة واعطانا احساناً ومضينا الى عند الراهبات المعينات لاجل تعليم البنات الايمان الكاثوليكي ورحنا الى عند حاكم البلد وتغدينا عنده واستقسنا يوماً واحداً وتاني يوم سافرنا الى ناحية اومان Aumale وكان موجود عند الاب جوبارد ولد من جملة الاولاد ابن اكابر وهو وحيد لوالديه ومن ارزاقه له مدخول ستين الف غرش في كل سنة وهو غني جداً وله صراية مكتفة في البرية بعيدة عن البلد وبما ان الاب المذكور وجميع اتباعه عملوا لنا اكراماً ومحبة عظيمة فلاجل ذلك هذا الولد المذكور اعطانا مكتوب توصية الى ابيه وامه فلما وصلنا الى عندهما قبلانا بكل محبة واكرام عجيب وتغدينا عندهما وكلفانا ان ننام عندهما فما قبلنا وبعد الجهد حتى اطلقونا واعطونا خمسة غروش حسنة وكان ذلك اليوم حراً عظيماً وتعبنا كثيراً من العطش ومررنا في طريقنا على بيت فطلبنا منهم ماء لنشرب فقالوا لنا ما عندنا ماء بل عندنا ماء التفاح فاتونا بماء تفاح حامض مثل الخل ومعه قطعة خبز اسود لكي نأكل لقمة مع ماء التفاح لان عندهم الشرب بغير أكل يضر خصوصاً الى المخرورين فاخذ كل واحد منا لقمة خبز فما قدرنا نبلعها ولا عرفنا ما هو طعمها وكان معنا مكتوب من ذلك الولد الى واحد صديق له توصية فينا ولما (ص ١٤٣) وصلنا الى عند المذكور قرب غياب الشمس فاخذ حالا يتسودن ويتضايق من الذي اوصلنا الى عنده واخرج من جيبته غرشاً واحداً وقال لنا يا ايبنا لا تواخذوني ما عندي مكان اقباكم به خذوا هذا الغرش واذهبوا الى ملعب يبعد عنا ساعة وهناك ناموا فاخذنا الغرش ورحلنا الى حيث قال لنا فلما وصلنا الى ذلك الملعب راينا ما عندهم فرشات ولا مكان [لانه] كان نازل عندهم جملة بشر فالتزمنا سافرنا ايضاً الى مسافة ساعتين راينا ملعباً اخر ولم يصر لنا به منزول فمشينا تلك الليلة الى ان وصلنا الى ضيعة بعيده عن اومان خمس ساعات وبها ملعب مكلف ولايق وحالا اتونا بماكل لحم عجل يخنى طيب اكلنا هناك وصباحاً رحلنا الى اومان ونزلنا عند الرهبان البنديكتين وهو دير غني جداً وصرايه مكلفه وكرسيات وخدام والدير مكلف وقبلونا بمحبة واعطونا اوضة مكلفة ونزلنا هناك وسالنا عن المطران قالوا لنا في صرايته بعيده ساعة ونصف فبعد ان تغدينا اخذنا راسين خيل من الدير ومضينا الى عند المطران ودخلنا الى عنده للصرايه ورانا واحد من اتباعه له معنا مكتوب من محبيه فتكلمنا معه واعطيناه مكتوب

الذي معنا من مطران بيو فاخذ المكتوب ودخل الى عند المطران واخبره بقدومنا واعطاه مكتوب مطران بيوت .

فبعد قليل خرج المطران ظنينا انه خرج ليسلم علينا فركعنا امامه فاعطانا يده بل بدا يرجف ويتسودن ويعيط علينا وقال لنا ارجعوا ارجعوا حالاً هذه الليلة من ابرشيتي لم يردْ ان يسمع لنا كلاماً فما امكن ان يعطينا محلاً لكي ننيمه فصدنا واخرج غرشاً واحداً وقال لنا استكروا به خيلاً واذهبوا فقلنا له يا سيدنا نحن ما مرادنا منكم دراهم بل نطلب من قدسكم ان اذن نشحد ابرشيتكم قال انا عمري ما عطيت لاحد اذناً ان يشحد ابرشيتي قلنا له (ص ١٤٤) ان السلطان اعطانا اذناً فقال لنا ان السلطان اعطاكم انا ما بعطيكم ورد الغرش الى جيبه وراح فرجعنا حكينا مع الرهبان الذي نازلين عندهم واخبرناهم بالذي صار فتقوي صعب عليهم واخبرونا بان المطران من سوء طباعه ما له محب وتاني الايام رحنا لعند واحد شنوان من بهريز فالمذكور ارسل دعانا وهو رجل غني واكابر جداً واحكينا معه واخبرناه الذي جرى لنا مع المطران فما هان عليه ابداً وشار علينا بان نروح الى عند حاكم البلد وناخذ منه اذناً ونشحد ضد خاطر المطران فمضينا الى عند الحاكم وقبلنا بكل محبة واخبرناه عن فعل المطران معنا فما رضي بذلك ابداً واعطانا اذناً بالشحاده وطلبنا منه واحداً من اتباعه لكي يدور معنا فارسل معنا واحداً ولكن نحن ما ردنا نشحد ذلك اليوم باملي ربما نقدر ناخذ خاطر المطران وكان يوم جمعة فطلبنا من الحاكم بان يبقي لنا الشحادة الى يوم الاثنين فرضي بذلك ورجعنا الى الدير وافتكرنا بانه غير ممكن ان نقدر نشحد بدون واحد معنا من طرف الخوارنة لكي يوصوا لنا في الكنايس حسب عادة الشحادة وان لم نفعل ذلك يضيع تعبنا فحالاً كتبت مكتوباً الى بهريز ، الى اخي المطران المذكور الذي هو الجي مالطه وهذا المذكور محبوب جداً عند السلطان وهذا المكتوب توسل لكي يرسل مكتوباً الى اخيه المطران والمذكور محب معنا ومساعدنا كثيراً وارسلنا المكتوب في ١٩ حزيران وصرنا ننتظر الجواب .

القول عن اوصاف هذه المدينة عامرة جداً وهي مبنية على جبل عالي وبناها متصل من اعلى الجبل الى سهل الجبل من اربعة اطرافها ومياهها من تبع جانب الجبل من المدينة وذلك التبع شبه مناطوة والذواب تجذب الماء الى بيارة شكل برك وحواصل تجري الى المدينة ولكن شيء عظيم ومتجر هذه المدينة اغلبه الشمع وقماش الصوف يشبه شال انكوريه وشمع هذه المدينة

كله شمع ابيض كافور لانهم يجلبون الشمع من ساير الاقاليم وفي هذه المدينة يقصرون الشمع لانهم معلمون بقصر الشمع وكلهم اغنياء كثيراً وتراهم لا يتعاملون من الكدرات سوى قصر الشمع وهذا يكفيهم لان كل البلاد ياخذون من هذه البلد الشمع الكافوري وهذه البلدة كل بيت له بستان وداخلها سبعة عشر كنيسة وديرة جملة وبهذه المدينة موجد جنسنيون Jansénistes اي ازائقة (ص ١٤٥) الجديدة واستقمنا بهذه المدينة ننتظر جواب المكتوب الذي ارسلناه الى بيريز الى اخي المطران من ١٩ حزيران الى ٢٩ منه ونحن بطالون بغير شغل واستقمنا كام يوم فاتت مكاتيب من بيريز واخبروا ان اخا المطران ليس هو في بيريز بل مسافر الى غير بلدة من حكمه فعدنا بعده ابتدينا نشحد هذه البلدة غصباً عن مطرانها ولكن اهلها بخلاء في ٣٠ حزيران مضينا الى عند المطران لكي نودعه ونطلب منه احساناً فدخلنا الى عنده رايناه في غاية الغضب علينا ولو امكنه لضربنا فقال لنا باني منعتكم عن الشحادة وانتم شحدتم بغير اذني وانا اردت ان ارسل ارسّم عليكم فقلت له يا سيدنا نحن معنا اذن من حضرة السلطان وليس لاحد علينا سلطة فازداد بالغضب علينا ومنعنا عن التقداس وخرجنا من عنده وشحدنا اكثر من كل يوم ولم نرَ في فرنسا مثل غباوة هذا الرجل القليل الخير وبعد ذلك رحلنا الى جملة قصبات عدلنا عن ذكرهم لاجل الطولة وبنهم وصلنا الى دير التراب .

دير التراب Trappe

ودخلنا الى هذا الدير اولا دخلنا الى مكان منه للضيوف وهو دير كبير وفيه خدام وطباخون وسياس وغيرهم وكلما يخص هذه الضيوف لان لهم اعتناء عظيم بالضيوف وبعده الى باب ثاني ايضاً فيه دير كبير شبه بستان وفيه الات لاجل اشغال المطران مثل نجارات وغير اشياء ومنه الى ثالث باب مكلف قوي وبه اشخاص وتصاوير جميله فدقينا الباب فاذا بالبواب جاب. المفاتيح وفتح مرماية الباب وطلع علينا ثم بعده فتح الباب وركع امامنا الى الارض وعمل لنا اشاره لندخل من غير ان يتكلم ومشي امامنا ويعتاد الى كنيسة صغيره فاعطانا المرشة بالماء المقدس ثم ركع امامنا على الارض يصلي امام صورة المصلوب ونحن صلينا معه قليلاً ومشى امامنا وهو ساكت الى خارج الكنيسة وهناك سألنا بصوت منخفض ماذا غرضكم يا ابانا ومسبب مجيكم لهنا فقلت له زايرين الدير ومعنا مكاتيب (ص ١٤٦) الريس واعطيناه مكتوبين

فاخذهما ولما راى اثيابنا مغرقة من المطر حالاً اضرم ناراً بالاوضة واجلسنا لكي تيبس اثوابنا واخذ المكاتيب وادخلهم الى الريس فحالاً الريس ارسل لنا راهباً في خدمتنا وبعده ابتدأت عندهم صلاة الغروب فعزمونا معهم الى الكنيسة ووضعونا في مكان عالي حيث يضعون مكان الزوار لكي ينظرون ربتهم كالراجب واسم هذا المكان تريبون ورايتا من عبادتهم وخشوعهم شي يدهش العقل من كثرة الخشوع والترتيل والنظام وتسمع تراتيلهم مثل النواح واحتشامهم مثل ملايكة وباحقيقة انهم ملايكة من غير شك وفي صلاتهم هدو عظيم كلمة بعد كلمة وبعد خروجهم من الصلاة برتبه ونظام ومضينا الى اوضتنا المعينة لنا ومكثنا الى صلاة الستار بعد العشاء فمضينا معهم الى الصلاة ومكثنا في مكاننا الاول .

واذا باثنين من الاخوة اتيا الى الكنيسة وتمددا على وجوههم مثل الامرات على الارض واستقاموا هكذا الى خلوص الصلاة من غير حركة وبعد الصلاة نهضوا فسالنا عنهم فقالوا لنا ان هذه الاخوة قونهم الريس فسالنا عن ذنبهم فقالوا لنا ان الواحد ذنبه ارمى الفرتيكه من يده محل العشا غصباً عنه والاخر نقط من ماء النتاح على منديله فهذه الزلات اوجبت عليهم القانون المذكور ودايماً يوجد على المايدة وفي الكنيسة اخوة واباء مقونين منهم معلمين منهم راكعين في باب المايدة او في باب الكنيسة والاخوة جميعهم يمرون عليهم وتراهم يقبلون مداسات الاخوة وكل يوم صباحاً لهم جمعية مقدسة وكل منهم يستغفر عن زلته مجهراً امام الاخوة والريس يحملونه القانون ولهم بعد العشاء تنزيه هذا شكله يخرجون الجميع من بيت المايدة الى الديوان ويجلسون بالرتبه جانبي الديوان ويقف واحد بيده كتاب ويقرأ فيه وهو نوع تأمل روحاني وتراهم متخشعين متذللين وساهين مثل الملايكة من شدة الخشوع ولهم تنزيهة اخرى وهي مبهرجة اكثر من الاولى وهو انه كل احد وعيد يغسلون (ص ١٤٧) اقدام بعضهم البعض بماء مغلي فيه حشايش لها رايحة طيبة انظر الى هذا التنزيه وبعد هذا ارسل الريس كلفنا الى عنده فمضينا الى عنده وقبلنا يكل محبة وسالنا عن حالنا وروحتنا وعن معيشتنا فاخبرناه توجع لنا كثيراً لانه رجل فاضل وقديس كبير. وملو حكم وفضايل فطلبنا منه ان يرضى ويسمح لنا ان ناكل مع الاخوه في المايدة مرة واحدة فرضى بذلك وتاني يوم قدسنا عندهم وحضر منهم البعض قداسنا وبعد القداس ارسل الريس الى الشخص المعين على خدمتنا لكي يدعونا ويخرجنا على الدير فاخذ يخرجنا على الدير على اوض الرهبان فراينا اوضهم قوي صغار وداخل كل اوضة

فرشة وثخدة وداخليهم تين وطاولة لنكتابة ومسجد دف وفوقه جمجمة انسان لا غير ثم مضى بنا الى مكان الذي يغسلون به اثوابهم وجالسين مقدار ستين راهباً يغسلون الاثياب وكل هذه الجمعية لا يسمع لهم صوت ورايتا تلك القمصان الصوف الغليظ وكلهم يشتغلون ونظرهم امامهم ولا يلتفت واحد الى الاخر كانهم جمهور ملايكة ساكتين وارانا ايضاً هناك اخوة يغسلون فجلاً فما احد رفع نظره الينا بل كل منهم عمل لنا انطانيه من غير ان ينظروا الينا وبالنتيجة الدير الذي تكلم عنه القديس يوحنا السلمي اي الذي سماه دير التربة ليس هو اضيق من هذا الدير على الارض وبه الرهبان ملايكة لان جميع ما رايناه هناك فهو عجيب وما كنت اظن ان في المسكونة ديراً فيه اناس مثل هذا الدير قديسون لا محال.

ويومها كان عندهم اربعة انفار لكي يترهبوا بهذا الدير وهم اولاد اكابر لبسهم جميعهم بذهب وثياب مكلفة وبينهم شاب عمره نحو عشرين سنة وهو مثل النجمة ولبسه مفتخر وقد اتى ليترهب هناك وبعده صلوا صلاة السواعي صلاة المايدة ودخلنا جميعنا برتبة مكلفة كل منهم بمقامه ووقفوا على جانبي المايدة وصلوا قدر عشر دقايق (ص ١٤٨) وجلسوا بعده للغداء وكان غداهم ذلك اليوم شوربه ماحه بحشيش بغير زيت وشوربة فحية لا غير وفجل وشربهم ماء التفاح وماء شعير وجلسوا اكلوا مثل الملايكة بادب واحتشام وبعد خلوص الغدا مضوا الى الكنيسه وصلوا صلاة الشكر بتأمل وقت المسا بعد صلاة الستار يخرجون من الكنيسة الى باب الدير ويقف الرئيس وبيده مرشة ماء المقدس فياتي الاول ويسجد امامه وينضحه بالماء ويأتي الباقون واحد بعد واحد الى حد المبتدئيه واذا مرض احدهم يطعمونه اللحم واذا قرب للموت يمدونه فوق الرماد لكي يموت فوقه ولم دفن الميت خشوعي جداً ولا يضعون جسد الميت في القبر كلهم ينطرحون على وجوههم للارض كالموتى قدر ثلث ساعة ويتاملون حال الموت ولبس هولاء الملايكة صوف ابيض لكن الصوف خشن كثير وفوق ثيابهم ثوب عريض ابيض وكمامة طوال وعراض وفوقه اسكيم صغير ابيض وله نازل من دايره الى حد كتافه وفي رجليهم جرابات بيض وتراهم يتكلمون بالاشارة مثل الخرسان لان حين دخلنا تقدس عندهم اتا الينا واحد منهم وارانا ورقة مكتوب عليها الوان البدلات لكي يعرف باي لون نريد تقدس فوضعت له اصبعي على لون الاحمر فمضى جاب لنا بدله حمره ومعلقين في كل مكان اوراق يوصون بها الى الذين يدخلون الدير وفي يدنو كل ورقه كاتبين الصمت ولما دخلنا للمايده اخذ الرئيس الكبير

الابريق بيده وسكب لنا على ايدينا وناوله اعطانا المنشفة وموجود بهذا الدير مقدار ثلاثماية راهب وكاهن وفي فرنسا ما في موجود ولا واحد من هذه الرهبنة سوى هذا الدير ويمكن في كل المسكونه ما موجود سوى هذا الدير فقط وترى حين يجتمعون كل منهم يشتكي على رفيقه بذلة واحد يقول رايت اخي فلاناً انتخت في الكنيسة مثل النعوام واخذ يقول رايت فلاناً مشي بعجلة مثل النعوام والآخر يقول اخي فلان اكل بعجله واخر يقول اخي رايته ماشي بغير ترتيب وهلم جرا ويبتدي الريس يعنف ويقوين ويعمل حقاره الى (ص ١٤٩) الاشخاص الذين عليهم الشكوى ويقول لهم هل اتيتم لتعملوا هنا كيفكم او تتنزهوا عندنا ولم يزل حب العالم بقلبكم ومثل هذه الاقوال يعنفهم واذا غلط واحد منهم بحرف او بكلمة تحال الصلاة حالا يسجد وينهض واذا واحد من الرهبان سقط من يده سكينة او معلقة او غيرها حالا يسجد وينهض واذا كسر شيئاً بعد ان ينهض يبرك على ركبتيه ويمسك ذلك الشيء الذي كسره امام الجميع ويصير الى ان الريس يدق له دقه حتى ينهض وطول السنة ما ياكل الا اكلة واحدة بالنهار والمساء ياكلون سلطة وجبنة فقط وصلاتهم كل ليله في الخورس قريب ثماني ساعات وجميعهم لابسين قباقيب دف وفي صوم الميلاد وصوم الكبير وبقية الاصوام ما ياكلون سوى شوربا بماء صادا مع بعض حشايش لا غير وشغلهم جميعهم بالفلاحه ولهم غير اشغال كثيره تنال بغير انقطاع واذا احدهم اشتكى على احد الى الريس والريس قونه يلزم الاخ المقوين ان يصلي صلاة خصوصية لذلك الاخ المشتكي عليه لاجل انه صار له سبب لاكتساب فضيله وتراهم كلهم محروقين بمحبه الله ووجوههم مثل وجوه العرب وشعور رؤوسهم طويلة وعليهم امارات العباده ظاهرة مثل سواح القدم وعناقهم دائماً منحنيه متذللين مخشعين واكثرهم اولاد اشراف وبالنتيجة لو كتبنا كل شي للزم لنا كتاب كبير جداً حتى يحوي افعال هولاء القديسين .

وفي ١٤ تموز رحلنا من عندهم على خيل الدير وفي مكلفة الى قرية مولين Moulins ومنها رحلنا الى قصبه اسمها كبري وشحدناها وصار لنا منها اصحاب كثيرون وواجب وبعده رحنا الى ارجنتان واردنا ان ننزل عند الكبوجين ووصلنا الى ديرهم واذا بالريس خرج مثل المجنون وهو رجل غليظ الاطباع وصار (ص ١٥٠) يدفعنا في ظهورنا مثل الحرامية ويعيط علينا ويتسودن اما نحن ما قصرنا في حقه من الكلام الذي اسمعناه اياه وخرجنا من عنده الى الابروجة قريبة الى الدير ونزلنا هناك وكان معنا مكاتيب الى خوارنة

البلاد والى رئيسة ذلك الدير واعطيناهم المكاتيب واحكينا لهم فعل ريس الكبوجين فما هان على الجميع فعله وحالا ارسلت الرئيسة جماعة وأتت بجميع حوايجنا من الابورجه واعطتنا اوضتين بالدير وصار منها كل عز واكرام ثم رحنا الى عند حاكم البلد وارويناد السندات التي بيدنا لاجل الشحادة فأذن لنا حالاً وتاني يوم ابتدينا نشحد وذلك الريس الغليظ فما عاد يقدر ان يسلم حاله من شدة ما ارخينا عليه من جماعه من البلد واحكينا الى الابس Abbesse اي الرئيسة عن فعله فالمذكورة تخلقت عليه كثيراً وارسلت وبخته وتاني الايام ارسل نايبه لعندنا يطلب منا المغفرة فتكلمنا معه حسب ما يجب عن ريسه وفعله وبعد اتى بذاته لعند الريسه حين نحن كنا دايرين نشحد واخذ يعتذر عن فعله ويطلب من الريسه بان تاخذ بخاطرنا من طرفه واننا نمضي لعندنا ونتغدى في ديره فما امكن ان الرئيسة ترتضي بذلك بل قالت له لا تظن بان عادوا يدخلون ديرك ووقع المذكور بشر اعماله وفي نزولنا عند الريسة صار لنا سبب العز والاكرام من ساير اهل البلد لان هذه الريسة شهيرة وهي من نسل اكابر محبوبة الجميع وخا عم وهو كاولير Cavalier كونه في مدينة مانطة وهذا المذكور الذي اخذ مركب البكليك الى العثملي وكان داخله الوالدة سنة ١٧٢٢ واخذه قريب دمياط والى الان موجود داخل كنيسة الدير يبرق غليون الوالدة الذي اخذه عم هذه الريسة وهذا البيرق منخرق من احدى عشر موضع مكان المدافع الذي اصابته وخرقته .

القول عن مدينة ارجنتان Argentan هي مدينة صغيرة وعمارتها حجر وبها صرايات عدة (ص ١٥١) وبناها جميل ومياهها نبع طيب وارضها ذات مغل كثير وداخلها كنيستان كبيرتان على اسم القديس جرمانوس وبها دير رهبان قشفين كثير هذه البلدة وبناتها واولادها ورجالها جميعهم شغلهم انديشا شغل ابره وهي بمجز ابيض كان يمكن شقفة وزنها عشرة دراهم او اكثر تساوي قريب الف غرش ولا تظن ان هذا مبالغة واكثر التجار يأتون ويأخذون من شغل هذه البلدة الى كل البلاد والممالك ولا يمكن ان يسعه العقل وقتها رايناهم يشتغلون الى سلطان فرانسا غطاء طاولة طوله دراع ونصف وعرضه كذلك فسالناهم كم يتكلف هذا فقالوا لنا يتكلف ست اكياس دراهم ومعاش هذه المدينة من هذه الصنعه مسلط على هذه المدينة مرض يقال له البوريب الذي ذكرناه في مدينة روان .

وفي ٢٣ تموز رحلنا الى مدينة فالس Fals وفي طريقنا ادخلنا الى دير

راهبات من رهبنات المذكورة تغدينا هناك وبعد الغدا رحلنا الى عند الخوري الكبير وتوسلنا اليه كثيراً لكي يتقبلنا بالشحاذة وبعده رحلنا الى دير مار اندراوس بعد عن فالس حكم ساعة وهو دير مكلف جداً وبه كنايس معتبره عدلنا عن ذكرهم .

النقول عن مدينة فالس فهي غنية جداً وفقراها قليلة ومتجر اهلها غزل وقطن وشغل الجرابات الحرير والقطن وثم صناعة بدباغ الجلود التواسيم وهذا الدباغ يلزمه الى كمال شغله مقدار ثلاث سنوات لانهم اولا يضعونه في ماء الكلس سنة ونيف وبعده يخرجونه يلتونه في اجزا شكل انشارة الخشب مثل نشر الشجر وغيره ويتركونه بهذه الاجزا سنة ويخرجونه بعده ويشتغلون فيه بغير اشيا هم يعرفونها وايضاً ستة اشهر لكي يكمل عمله وهذه المدينة عين ماء طيب جاري جداً وبها برك عظيمة وبها كنايس وديوره وبها اسبيتال للمرضى وقد عمر السلطان بها اسبيتال (ص ١٥٢) جديد لاجل الجنود الذين يتعطلون في الكون (الحرب) ويومها ما كان كمل بعد وبها بيوت جملة وسرايات مكلفة وبها مدرسة مكلفة وخارج هذه المدينة قرية تسمى كيرد وبهذه القريه يصير الموسم المشهور وهو بازار شيء عظيم يوجد به من كل البضايع ومن جميع انواع الحيوانات مثل الجوخ والخيل وسايز الاقمشة المكلفة من سايز ما تطلب واحكوا لنا اناس صادقون مثل كهنة وخوارنة انه يمكن ان يوجد بهذا البازار بضايع ومال يساوي ماية كرة مثل ثلاثين الف كيس دراهم وجميع هذه الارزاق تباع وتنتق بهذا البازار مدة خمسة عشر يوم لان هذا البازار هل قدر يستقيم وترى في هذه القرية مخازن وبواكي مسكرة وفاضية وفي مدة هذه الخمسة عشر يوم البازار تفتح فقط ويتصل كراء كل مخزن الى ماية غرش حسب صغره وكبره وفيها مخازن يبلغ كراء المخزن خمساية غرش ويوجد بهم اناس من جميع ممالك الافرنج وغيرهم تبلغ كثرتهم لهذا المقدار حتى خمسة انفار او ستة ينامون بفرشة واحدة ومع هذا الازدحام العظيم لا يوجد حرامي ولا نشال ولا ادنى فساد لان حضرة السلطان معين جملة عساكر لكي يحرسوا هذا البازار ويحفظوا كل شيء هناك وبعد انقضاء الخمسة عشر يوماً ترى تلك القرية والمدينة تفرغ وتعود مثل حالها الاول ويوجد بازركان هناك في ذلك البازار يشترون المخزن بما هو به من غير ان ينظروا او يقرعوا او يحسوا بل يشترونه مشايله يدخلون الى المخزن ويشترونه من بابه بماية الف غرش او باكثر او باقل قدر تخمين عقله ولهم هؤلا البازركان نظر عظيم بمثل هذه البازارات لانهم بنظرة واحدة يعرفون كمية مبلغ الموجود .

وفي ٢٩ منه رحلنا منها الى مدينة كان Can واستقمنا بها ثلاثة ايام وفي ٣ آب رحلنا الى مدينة بيوه ونزلنا عند البنديكتين وهناك وصل الينا مكاتيب من مادام بيرين جليسة سلطان فرنسا ومخبرتنا بانها تكللت مع الملكة بخصوصنا واعطتها قرن بان برجوعها الى ورساليه تلزم الى مادام الدوشيس بانها تكتب الى مطران مادامة كوتانس Coutance لانها ابنت عمه مكاتيب (ص ١٥٣) توصيه فينا ولكن نحن كنا متقلقين من زوالنا لان استقمنا خمسة عشر يوماً والدير صغير فاخذنا مكاتيب من بعض اكابر بيوه لان كان لنا اصحاب كثيرون الى مطران كوتانس وصار لنا منهم عز واكرام زايد وهم من اغنياء واكابر البلدة ومن جملتهم واحد اسمه الاب اوتيه وهو شنوان Chanoine الذي ذكرناه قبلاً والمذكور احبنا كثيراً حتى انه ترك اشغاله وكان يدور معنا لنشاهدة وله علينا فضل عظيم واعطانا احساناً وافراً وبسعيه صار لنا فايدة عظيمة .

معدن الفحم

وفي ٢٣ آب رحلنا الى دير بنديكتين بعيد اربع ساعات وكان معنا رهبان وفاق ومنه رحلنا الى مدينة سان لو Saint L'o ونزلنا عند شنوان وصار لنا عزية زايدة منه وشحدنا سان لو وثالث يوم رحلنا الى كوتانس بعيدة ثلاث عشرة ساعات وقريب دير سيريزي مكان معدن الفحم العجيب وهذا المعدن سبب ظهوره ان بعض معلمين من علماء فرنسا قد اظهروه وكشفوه بعلم الفلك وهو عميق تحت الارض حكم مايتين وخمسين ذراع حفروا عليه فطلع معدن لم يخلص ولا في مدة سنين وكل الحدادين والصياغ الذين في فرنسا يشتغلون من هذا الفحم وفي البيوت ايضاً لان هذا المعدن هل قدر كثير حتى ان القنطار يساوي ثلاثة غروش وكل رطل من هذا الفحم يقوم بمقام عشرة ارطال من غير فحم لان ناره حده جداً ورايحته طيبة لا تضر الدماغ مثل فحمنا وتراه يشعل عاجلاً وبعد ان يشعل يعود اطفاؤه عسر ولون ناره مثل الذهب وهو معدن شريف اسمع كيف اخرجوه فبعد ان عرف المعلمون ان حنا معدناً ولم يعلموا ما هو فاخذوا يحفرون الى ان وصلوا الى المعدن فرأوا ان حناك نبات كثير وكانت تغلبهم بالحفير ولما رأوا ان المكان عميقاً فارادوا ان يتركوه فتحيروا من ذلك وظهر واحد من فرنسا من المعلمين الهندسين وعمل حركة عجيبة وغريبة عن العقول وهو انه عمل طرنبات من اسفل الحفير الى فوق وجه الارض حكم ثلاثين ذراعاً وركب فوقهم دواليب

بشكل جديد (ص ١٥٤) نصف دايره وثلث دايره وثلثين دايره وغير شيا يعسر على الكاتب الهندسي ان يعرفها كما يجب لان سمعها ما هو مثل نظرها وجميع هذه الحركات آلات ثقيلة دف ثقيل وحديد ثقيل حكم باية قنطار حديد واكثر وكلها الات ثقال لاجل جذب هذه الامياه من العمق الى فوق هذا العلى لكن بقي بندهم حركة لكي تشغل هذه الحركات الثقال لانه غير ممكن ان حركة ماء او دواب او هواء وانسان يقدر على تحريك هذه الالات لكن هذا المعلم الفايق الصناعة الذي اظن ما بقي في العالم معلم يشبهه شغل هذه الالات الثقيلة جداً بقوة ضعيفة جداً وهي بخار وشبلة (بخار) الماء السخن اولا عمل فرن مثل افران الخبز المشهورة عندنا وركب فوق هذا الفرن حلة تسع من الماء ثمانية عشر الف بوتقة ماء اي تنيني السودات الذي ياتي وزن هذا الما ستماية قنطار وجعل فوق هذه الحلة شكل قنر طاحون اي مدار الحنطه وقدر برميل كبير وجعل لـه بعض حركات مما تناسب صناعته واوقد تحت هذا القدر النحاس النار الى ان تعبي هذا القنر من هبال تلك الما وحبس داخله ذلك الهبال في هذه الحركات التي صنعها داخل القنر وفوقه وعمل بعض حركات لاجل جذب الهوا منه تلك الحركات المجوفة وبقي الان خالياً من الهواء فلزم ان الطبيعة افتقرت الى الهواء لكي تملي ذلك الاين الخالي لانه من المعلوم بدون الهواء لا يمكن ان يقوم الشيء وجعل جذب الهوا من الاين متعلق ببذه الحركات جميعها فلما افتقرت الطبيعة لجذب الهوا جذبت معه هذه الآلات الثقيلة كلها وشغلت هذه الدواليب المصنوعة بالهندسة المحكمة من غير انزعاج كلياً وجعل في اسفل القنر حركات بحدايد ودواليب حتى انه ولد صغير يشتغل بهذه وهو جالس على كرسيه يرتل كما انه يلعب وجعل في سطح هذه الحركات حاصلاً تجري منه هذه الامياه التي تصعدها هذه الدواليب من اسفل الحفير الى فوق مثل النهر وجعل لها مجاري ينصب منها الى القدر الماء ومجاري يخرج منه الماء الحار قدر ما يدخل ماء بارد بقدره يخرج ماء حار وكل هذا الثقل وهذا (ص ١٥٥) العزم كما قلنا احد الاولاد الصغار يديره بيده الواحدة وهذا شيء نحن رايناه وشاهدناه عياناً وما ممكن كان ان نصدق هذا الامر لو احكوا لنا اياه ما لم رايناه واذا ارادوا ان يهدوا هذا العزم ذلك الولد يقدر يهديه من غير انزعاج اصلاً ويقدر ان يشغله بعزم وعجله ان اراد وجعل مكان الى الذين ياتون لكي يتفرجوا على هذه الحركات جميعها لكي يصدقوا ان هذا العزم جميعه متعلق بتلك الحيلة وجعل له مكان آخر لكي اذا ارادوا

فتح هذه الحبلة وخراجها لكي يرى المتفرج ان هذه الحبلة هي المحرك لهذه الالات جعل مكان صغير تخرج منه الحبله لكن حين تفتح هذه الكوة لاجل خروج هذه الحبلة تسمع لها صوتاً مثل صوت المدفع العظيم حتى انه لما اراد المتوكل على هذا المكان ان يفرجنا على خروج هذه الحبلة قال ان لا تخافوا وقال لنا كونوا على حضر لا تخافوا ودخل ففتح تلك الكوة الصغيرة فسمعنا صوت مثل مدفع العظيم جداً وظننا ان الارض من تحتنا ترتج صوت عظيم هايل ولتصديق هذا الشغل انه من هبلة الماء وحال ما يبطلون النار من تحت ذلك القدر ترى حالاً جميع الالات والدواليب وقفت من شغلها وحينما يوقدون النار تبتدي تشتغل بالنتيجة شي عجيب ما رأينا شبيه وجعل جانب الحفير تنوراً صغيراً وبه يشعل ناراً قليلة وبهذه النار القليلة يجذب كل الهوا الذي داخل الحفير لئلا تنضر الشعلة داخل الحفير ومتى طفيت هذه النار حالاً تتضايق الشعله في اسفل الحفير لان شغلهم اكثره سراديب ومغاير داخل الحفير حكم دارعين وثلاثه واكثر لكي يلحقوا المعدن.

وفي ٢٤ دخلنا الى كوتانس وواجهنا المطران ووكيله فرأينا منهم واجب خلاف ما كنا نؤمل لانهم قبلونا بكل محبة وطبعوا لنا اذن شحاده مكلف وسببه ان المادام رانيه ارسلت فينا مكاتيب توصية الى الجميع فبذا كان السبب وصار لنا اكرام واحسان واستقمنا ٩ ايام وفي (ص ١٥٦) اليوم العاشر رحلنا الى كرانتان Carantan وهذه القصبة صغيره وفقيره ولكن داخلها ثلاثة كنايس وجملة اديرة واكليم ومعاشهم كثيف واهلها كذلك وعظامهم قليل لانهم بني فلح ويومها ورد امر من حضرة السلطان وطبعوه في كل الممالك والى جميع رؤسا الاديرة والخوارنة لكي يبحثوا ويدققوا عن سلوك جميع الكهنة والكنائيين عن سلوكهم كما يجب وان كان الكهنة تقدس كل يوم افلم يكن لهم مانع شرعي وان انوجد احد منهم على خلاف ما ذكرنا لم يطيعوا رئيسهم حالا يسلموه الى الشريعة والشريعة تؤدبه قدر ذنبه.

وفي ٣ ايلول رحلنا الى مدينة كرانتان وهي تبعد عن كوتانس سبعة ساعات ومرونا في طريقنا على قصبة تسمى بيريه Bériers وهي بلد صغيرة ولكن غنيه ويدعم ماسكه للعطاء ودربنا كان مشقة عظيم من عطل الدرب وخطره من كثرة الامطار والوحل فدخلنا عند الريس وكان عندنا له مكاتيب توصية فالمذكور قبلنا بكل محبة وطلبنا منه ان نشحد ايرشيته فوعدنا بذلك ثم نزلنا وتفرجنا على البلد وهذه البلد صغيرة وجميلة وتبعد عن بلاد الانكليز

خمس ساعات في البحر وكل اسوارها مبنية جديدة ومحفوظة جداً وفيها قلعتان داخلها واهليها خبيرون بالحرب كثيراً وخارج هذه المدينه جسر من حجر مبني بناء عظيماً جداً على قناطر من الحجر الصلب وتحت هذا الجسر اربع قناطر فيها ابواب بمصراعين وهذه الابواب من الآلات الثقيلة وبصفايح الحديد الثقيل جداً جداً وفيها حركات ودواليب لاجل فتحها وغلقها وهذه الابواب هي لاجل المد والجزر في البحر تدخل هذه الامياه من هذه القناطر وفي وقت المد تدخل هذه الامياه مثل المدافع القويه وتجري بعزم عظيم هذا حده حتى يوصلها الى هذه الابواب تغلقهم بضجه عظيمة مثل اصوات الرعود لان وقتها كنا نحن فوق الجسر وكان القسر في (ص ١٥٧) الزياده فلما اتى المد ووصل الى تلك الابواب وغلقها ظنينا ان مدافع كبار انضربت من تحتنا وسبب ضبط هذا الجسر بهذه الطريقة لكي الامياه لا تتلف الاراضي التي خارج الجسر وتتلف الزروع والاشجار وقد تكلف هذه عمل الابواب خمسون الف غرش او اكثر وله جماعة متقيدون به دائماً ليلاً ونهاراً ولهم اوقات محل نقص القسر ويتركون الابواب مفتوحة ولهم مداخل ماء من غير مواضع لكي تدخل الى البلد وتغسلها من الاوساخ لان اهلها مثل البهايم والوحوش .

وفي ٨ ايلول رحلنا الى قصبة اسمها بون بورك وفي طريقنا مرينا على سانت اميراكا الخوري وقبلنا بكل محبة وترجيناه بان يوصي لنا ويشحد لنا في غيابنا وبهذه القصبه موجود واحد غني كثيراً فاخذنا الخوري لعنده واريناه السندات التي معنا فالمذكور ما اعطانا شيئاً بل اوعدنا انه يعطي للخوري لكي يوصلنا احساننا ومن هناك مضينا الى بون بورك وهي قصبة صغيرة وقبلنا خوريها بكل محبة وطلبنا منه ان نشحد فقال لنا امكثوا الى يوم الاحد لكي اوصي لكم في الكنيسة واشحدوا البلد ويوم الاثنين سافروا فقلنا له يا سيدنا نعلم ان البلد فقيره ولا نريد نثقل عليكم فقال لنا امكثوا تجدوا كل خير وكان نهار جمعة فمكثنا ليوم الاحد اوصى لنا في الكنيسة وتغدينا عنده وارسل معنا كاهنين يرافقانا بالشحادة ودرنا البلد كلها وكلهم فقراء وجمعنا ستة غروش فقط من كل البلد وتاني يوم رحلنا الى مدينة والونيا دخلنا رايناها مدينة صغيرة ولكن معظمه وتمثليه اكابر واشراف حتى انهم يلقبونها ببهريز الصغيرة ونزلنا عند كيوجيين ومضينا الى عند خوريها وهو رجل كبير وعليه وظايف مطران وقبلنا بكل محبة وآخيرنا بان وصله مكاتيب من الاحباب توصيه بنا (ص ١٥٨) واوعدنا ان يوم الاحد يوصي لنا في الكنيسة ويحث الرعية على مساعدتنا

وارسلنا معه نايبه الى عند حاكم البلد واعطانا الخاكم ثماني مصريات حسنة وثاني الايام رحنا لعند مركيز دي وهو رجل اكابر مكلف وبعيد عن مكاننا ساعة وربع ودرب قوي عثر دخلنا عنده واعطيناه مكتوب توصية فينا وبعد ان قرأه وطرق فيه مقدار نصف ساعة فاخذ يسالنا عن سبب شحادتنا واشكينا له حالنا وارويناه السندات المعنا فمد يده الى جيبه واعطانا ثماني مصاري ودار وجهه ومشى وكان عنده واحد ايضاً من اقرباه اكابر والاخر اعطانا ثماني مصاري وخرجنا من عندهم جواعاً وتعبانين مسافرين ساعة ونصف ورجوعنا ايضاً ساعة وربع على ست عشرة مصرية وفي طريقنا دخلنا لعند واحد اعطانا غرش وايضاً مرونا على كاهن عابد قوي وقبلنا بكل محبة واعطانا اربعة غروش وعلى كاهن واحد اعطونا غرشاً غرشاً.

انقبل على مدينة والونيه Valognes وهي مدينة صغيرة وبها سراية جميلة مكلفة وهي بلد مرخصة وهي من حساب نرمندية التحتانية في فرنسا ودخلنا الى مدرسة مبنية بناء عجيباً من قبل الخلسة ومن الحركات التي داخلها اولا حين تدخل من الباب ترى بناءًا رحباً وكبيراً داخله سراية كبيرة جداً مثل البرية كلها مبلطة ببلاط اسود وابيض ودايرها مصاطب حجر وفي صدر السرايا ترى باب بناء عالي مرتفع جداً وفيه ساعة وسط ذلك الباب قدر الباب وفوق الباب شخصان مار بطرس وبولس من الرخام كبيران قدر قامة انسان فدخلنا داخل هذا الباب فراينا شكل حوش صغيرة مثل قاعة صغيرة وعلى جهاتها الاربع ست ساعات وفي السقف اربع ساعات وجميع هذه الساعات (ص ١٥٩) تشتغل من الساعة الذوقانيه التي في الباب المذكورة وبهذه الساعات لكل منها لها شغل يخصها ولا يخص لغيرها الاول تريك الوقت في ساير الدنيا وفي اربعة اقطارها كل بلد ايشقدر تكون الساعة والوقت والساعة الثانية تريك ايام القمر وكم يوم بالشهر واي يوم بالجمعة مثل الثنين والثلاثه والبقية والساعة الثالثة تريك ايام القمر كيف يخلق وكيف يمتلي وجعلوا الى معرفة ملوء القمر حركة فيها برأس العقرب. الشغل الذي في وجه الساعة شكل تفاحة سوداء كبيرة وداخليا ايضاً شكل تفاحة بيضا من الفضة بغاية الجلاء والصفاوة وتشتغل من انمحاق القمر وتبتدئ تلك التفاحة السوداء تقتل يوماً فيوم الى ان يمتلي القمر ترى تختفي تلك التفاحة السوداء وتظهر التفاحة البيضاء الى ما يبتدي القمر يأخذ في النقص تراها تبتدي تقلب تلك التفاحة البيضا وتظهر التفاحة السودا الى ان ينمحق القمر وهذا ديدنها دائماً ولا تتحل ولا تخرم ابداً والساعة الرابعة تريك دخول وخروج القمر الى الابراج

في ربعيات القمر وها اربع خراقات يظهر منها القمر على ملوئه وانمحاقه وبدره وفي شكل عجيب والساعة الخامسة تريك اشهر السنة واسامیها وهي تدور القرص كل سنة مرة واحدة وفي سنة الكبيس تجعل شهر شباط تسعة وعشرين يوماً وتريك ايضاً الانعكاس القمري والساعة السادسة تريك اضواء والارياح الى اي جهة متفرعين هذه الارياح الى ثمانية اقسام الرياح كل ريح منهم مقتسم الى اربعة اقسام ارياح وثم هذه الرياح انصاف وارباع وهذه الست ساعات لا يخرجوا ابداً وفي السقف اربع ساعات الاولى لاجل قاعدة القمر وكيف يتولد الثانية لاجل سنة الكبيس والثالثه ساعة (ص ١٦٠) الجيل اي كل مايه سنة تدور دور القرص دورة واحدة والرابعة هي ساعة الحرف الذهبي الذي يشتمل على تسع عشرة سنة وهذا حساب تفرضه علماء الفلك وكما تقدمنا قلنا ان هذه الساعات جميعها تشتغل من ذاتها مثل ساعات العتاد وهي تستمد من الساعة الكبيرة. وبعد ثمانية ايام رحلنا الى مدينة اسمها شربور Cherbourg وهي على حافة البحر بعيده عن بلاد الانكليز اربعة عشر ليكوات اي حكم سبع ساعات في البحر وبهذه المدينة ايضاً المد والجزر ظاهر جداً لانه يدخل الى حد آخر المدينة من جانبها وحين يرجع يبعد عنها حكم مايتين ذراع وهذه المدينة حصينه جداً واهلها بازركان ولما كنا هناك وصل خبر ان زوجة الدولفين ابن السلطان ولدت غلاماً ذكراً وصار فرح عظيم في كل المملكة.

حريق في قرع شربور السلطاني

لكن اسمع ايها القاري وانظر كيف افراح العالم ليست بكامله دائماً بل يخالطها الحزن. اولاً احترق في ورساليه في هذا القرع اسطبل السلطان واحترق به جملة خيل وجملة من البشر وصار ضرر يقدر القين كيس وسبب هذا الحريق هو من الحراقات دخلت بارودة الى مكان التبن والناس مشتغلة بالحراقات والفرجة وصار هذا الحريق ولكن مع هذا كله لم يبال السلطان ولم يبطل القرح والزينة وفي هذه الغضون محل القرح والمرجان وصل خبر موت ابنة الملك امراة سلطان دوق فيليب في ايطاليا وهي التي كانت محبوبة عند ابيها سلطان فرنسا وعند امها واخيها الدولفين وعند كل المملكة فتلك الساعه حالاً بطل جميع القرح والزينات والحراقات وابتدأ الحزن في السلطنة الى مدة شهر ابصر كيف افراح هذا العالم مخلوطه بالمرار فبعده رحلنا من شربور الى بريكيبك Bricquebec وهي قصبة صغيرة فتكلمنا مع خوريها

لكي يشحد لنا في غيابنا الى ما نعود اليه لان المدينه صغيرة وليست غنية فردنا ان الخوري يشحد لنا في غيابنا وهذه المدينة ما بها شي يخرز ان (ص ١٦١) تكلم عنه لانه كما ذكرنا صغيره وفقيره ورحلنا منها الى سور بعيده عنها اربع ساعات ودخلنا عند خوريها وقبلنا قبول محبة ومكثنا عنده يومين حتى شحدنا ورحلنا من هناك الى دير بنديكتين اسم الدير ايس ومكثنا عندهم يومين حتى شحدنا ورحلنا من هناك الى كوتانس مكثنا يوماً واحداً ورحلنا الى مدينة كوندويل . وهذه مدينة جديدة وغنية جداً بعيدة عن كوتانس سبع ساعات على حافة البحر وهي مبنية على جبل وها صايح براني اكبر من المدينة والبناء متصل بها غير منفصل وهذا دليل انها مزمعة ان تصير مدينة عظيمة وهي على حافة البحر واكثر الناس ترغب ان تسكنها لانها يمكن ان تصير متجراً لقرب البحر ها وهواها طيب جداً وماؤها لذلك واهلها خيرون ولما يصير بها المد يدخل البحر الى اخر بيوت الصايح البراني وبعيد عنها نصف ساعة دير سكلند وها كنيسة جيلة واستقسنا هناك ستة ايام وشحدناها ورحلنا منها اليوم السابع ومتجرها السمك وبها اجناس سموكات عدة ولذيذة جداً ورخيصة بغاية لانه يوتى منها مراكب الى جميع البلاد ويصير منها مدخول لاهل البلد يزوف عن ميتين كيس واهلها اغنياء ثم رحلنا الى اورانش Avranches وهي ابرشية صغيرة وفقيرة واظهروا لنا كل محبة وشحدناها وفي الثامن رحلنا الى مونة سانت ميشيل Mont St Michel بعيدة ثلاث ساعات ودربها خطر بغايه وبها المد والجزر والبحر كثير لان حين مده يعبره بحراً بالبيس وتشي المراكب فيه من عظم مده وبعده وصلنا الى جبل مار ميخاييل وهو سن جبل قام من البحر وتعلق بالغيوم من شدة ارتفاعه وعلوه وبني حوله سور من حجر على اربع قامات بناء متين وله باب واحد يصعد منه الى هذا الجبل ودخلناه ورأينا حرامه متسلحين وحاضرين كانهم للقتال مستعدون .وهم (على) ثلاثة ابواب وانتهينا الى راس هذا (ص ١٦٢) الجبل فرأيناه ديراً عظيماً لانه عمارة ملوك وابواب جميعها بالحديد المشبك ودايرالاسوار الطواب مثل غابات القصب جميعها خارجة الرؤس من ذلك السور وجميعها موجهة على باب القلعة نصب ودروجات ولفتات والذي يدخل لا يقدر يخرج الا بدليل ومبنية على العواميد اربعة وعشرين واحد انظر كيف رفعوا هذه العواميد من هذا العمق الى هذا العلو وبها كنيسة ايضاً على شبهها من العواميد ثلاث طبقات ومتينة جداً . واظن ان هذا البناء يدوم الى القيامة وبها اماكن بابواب قصار حبوس لاجل

المجرمين من الاكابر الذين يغضب عليهم السلطان ويومها كان محبوساً هناك اكثر من ثلاثين واحد مغضوب عليهم من السلطان اكثرهم اشراف وهي مدينه عظيمة عدلنا عن شرحها .

وفي ١٥ تشرين الاول رحلنا من هناك الى بنطرسون Pantarson ومنها دخلنا الى مدينة سان مالو Saint Malo وهي اول مدينة من اعمال برطانية فرنسا وهي صغيرة غير انها غنية وهي مبنية على جبل في وسط البحر ولا تفتح الابواب الا بعد الشمس ويسكرونها قبل غروب الشمس خوفاً من الاعداء لانها كانت بيد الانكليز واخذتها منهم الفرنساوي وبعد عناء عظيم وصلنا الى المطران واتحق انه رجل عظيم واعطيناه مكاتيب توصية فحين قراءة ارانا قبولاً وكلفنا لنتغدى عنده ويقيناً نأكل عنده الى حين سفرنا وارسل حالاً دعا اليازجي وكتب لنا صورة دستور عمومي نتحد من غير تحديد ابرشيته جميعها وهذا الاذن هو احسن من كل اذن المطارين ويوم الاحد اوصوا لنا في الكنيسة وفي جميع الكنايس وحثوا جميع المسيحيين على اسعافنا وبدينا نشحد ولكن اكثر اكابر البلد غايبين عن المدينة وهم في بيوتهم التي هي خارج البلد واحكينا للمطران هذا الامر وقال لنا لا عدنا نشحد عنده الى شهر تشرين تاني لانه يبتدي غفران سنة المقدسة وجميع اهل البلد ملتزمون بالحضور لكي يرافقوا الزياحات التي تصير على اسم روح القدس في مبدأ الغفران وارسلنا الى مدينة اسمها (ص ١٦٣) دينان Dinan ورأينا اهلها اصحاب خير فوصوا لنا بالكنيسة وبدينا نشحد ودخلنا عند رجل من الاشراف وقدسنا عنده وفي صرايته بيمارستان مرضى الفقراء وهو وحرمته يخدماتهم ويومها موجود كان يتوف عن العشرين فقيراً مريضاً وهم على تخوت مكللة ونظام معين لهم كنبة لاجل القداس والاعتراف ولهم مكان وهم نائمون فيه بفرشاتهم ويرون القداس امامهم ومعين خزمتكاريه بعلوفه يرسلهم للضيع ولكي يخدموا هناك المرضى ويداووهم لانه هو رجل طيب وجراحي ومعلم لانه رجل فريد عصره يفعل الخير والصدقة وبهذه المدينة اديره وكنايس كثيرة ومأوها ومناخها عذب جداً وبها نبع ماء معدني له فعل عجيب في ساير الامراض ولهذا يقصدونه من ساير الممالك من المرضى في ايام الصيف ويفعل بهم افعال عجيبة بالصحة واستمنا سبعة ايام ورجعنا الى سان ماله وبعد ثلاثة ايام حين ابتدأ الغفران ابتدينا نشحد ولو كانت شحادتنا قبل الغفران كان اخير لنا لاشتغال الشعب جميعه بالكنايس والصلوات واغلبهم لم يوجدوا في دكاكينهم

لان اكثرهم ياخذون معهم خبزة ويتضون الى الصلاة الى المساء[1] ورحلنا الى مدينة رينيه Rennes في ١٢ منه ووصلنا اليها ثاني الايام ورحنا لعندهم وكان وصلهم مكاتيب توصية فبتنا رحنا عند المطران وواجيناه فقال لنا اريد اعمل كل خير معكم ولكن جئتم في وقت عاطل لان الغلاء في هذه البلد وايضاً من ثلاثة اشهر احترق في ابرشيتي قصبة غنية ومات في الحريق بشر كثير واحترقت اموال كثيرة وهذا اغلب الناس شحدوا وافتقروا والآلاف لم يشبعوا الخبز من الغلاء والنتيجة اعما قلبنا من الحكي وهذا حقيقي واوعدنا ان يعمل جهده لاجل خيرنا وواجينا حضرة حاكم البلد اي القاضي واعطيناه المكاتيب فقرى (ص ١٦٥) عجبوه والمذكور شار علينا وهو بالصواب ان نترك الشحادة الى عيد الميلاد لان جميع الاكابر مسافرون الى خارج البلد فذاك الوقت يصير لكم خير ازود ورحلنا الى باص برتانيه Basse Bretagne الى مدينة وان Vannes وكان برد شديد حتى ان دقوننا عادوا مثل القرون من شدة الجليد والبرد ومضينا الى المطران رجل خايف الله عابد قديس ما راينا مثله قط لان كل يوم يستقيم ثلاثة ساعات قبل الغداء وثلاثة ساعات بعد الغداء يستمع اعترافات الشعب وهو معتني به ومع هذا لم يبلغ من العمر سوى اربعين سنة واعطانا اذناً بشحاده واعطانا هو احسانا .

(له صلة)

---

[1] كذا في منتصف القرن الثامن عشر في فرنسا ... وكذا رأينا في حلب جماعة المصلين في الجمعة الحزينة يأكلون بعد الصيام الى الظهر وينتظرون في اروقة الكنيسة ابتداء الصلوات الطقسية ونحن في القرن العشرين .

نشيد السامرية

للشاعر رومانس المرنّم

عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه الاب تيوداوس قادري ق. ب.

المقدمة

من ينشر الغمام في عرض السماء ويسقط الامطار على الارض ومن ينجّر الينابيع متدفقة خصباً وحياة وجمالاً هو هو من نراه — والعرق يتصبب على وجهه — يطلب قليل ماء من امرأة تمسك بجرّتها وتهيأ لتملأها من بئر عميقة. انه المطر الروحي السماوي ويسأل شربة ماء انه يسوع ابن الله وابن الانسان ويخاطب امرأة خاطئة سامرية.

هي المحبة الكبرى تجسدت الكلمة صار جسداً واحب الناس ولاجلهم اخذ جسداً خاضعاً للعطش والجوع للبرد والحرّ والتعب. وبهذا الجسد البريء من الخطأ يتنازل حتى الى مخاطبة امرأة خاطئة. يشرح لها الحقائق الالهية برموز وايماءات ويجسّد الحقائق الروحية ليجعلها قريبة المنال ومن متناول البسطاء. اصبح يسوع معلماً للخطأة وللجهال ليقود الى الله كل من تغرّب عن الله بالخطايا فيعود به الى الله الحق عن طريق المحبة الصادقة.

ونشيد السامرية لرومانس الشاعر هو شعة من تلك الشعاعات النيرة الغزيرة الضياء ومضات من الشعر ولمع من ضياء الروح في عالم الادب والفن. نشيد السامرية هو حوار لطيف يمزق الحجاب الكائن بين الله والانسان وتزول الأبعاد فيقترب الانسان من الله لا بل قل يقترب الله من الانسان ويبحث الله عن ابناء البشر التائهين في مهمه الشرور والآثام.

يتبوع على بئر. اله قرب انسان يحنو على صورته المشوهة ويرجعها الى جمالها الاول والى صداقتها مع السماء. نشيد السامرية هو هذا الحوار اللطيف الرقيق الذي تم بين البراءة والإثم وعلى حافة بئر طالما تكلمت فوق حافتها تلال من الاحاديث والترهات واللعنات وطالما جذبت ألسنة من نار وتلوثت نفوس بوحل الخطايا الحالك. وها انه لاول مرة تجري فيها وحواليها ينابيع سرية تتدفق بالرحمة والنعمة والحق والضياء فتزول من حولها كل

(١ Ρωμανοῦ Τοῦ Μελῳδοῦ Ὕμνοι ὑπὸ Νικολάου Β. Τωμαδάκης Τόμος Β-Σ. 283-304 Ἀθῆναι 1954.

لوحال الخطايا لتصبح ينبوعاً للقداسة والبرارة ولاول مرة في تاريخ البشرية تصبح البئر أداة خير وتقديس وبرارة وتغسل بمائها آثام بني البشر الذين شربوا من مياه الارض المرحلة لتعود النفوس مرتوية بماء السماء مقبلة الى طريق القداسة والاتحاد بالله. اخذ رومانس الحوار من ناصيته وكسبهم سريع دخل في عمق الموضوع.

وجد النشيد في مخطوطة قديمة من المخطوطات الموجودة في مكتبة دير القديس يوحنا الانجيلي في جزيرة باطمس وهذه المخطوطة تحمل رقم ٢١٣ والنشيد في حالة متوسطة وقد اشتغل في تنقيحه واملاء الفراغ العالم البحاثة اليوناني نقولاوس توما داكيس Nικλάος Β-Τωμάδακης وقد استعان على التدقيق بهذا النشيد بلغة الكتاب المقدس والآباء.

ويُبنى النشيد من اثنتين وعشرين مقطوعة يربطها ببعضها هذا التوزيع:

نشيد الخفير رومانس Τοῦ Ταπεινοῦ Ῥωμανοῦ ὕμνος

استقى رومانس الموضوع من انجيل يوحنا الفصل الرابع وهذا الفصل يُتلى في الاحد الرابع من بعد الفصح ومن هذا النبع الاساسي استقى المرنم هذا النشيد.

واستقى ايضاً من الآباء وخصوصاً من يوحنا الذهبي الفم. وكثير من الشروحات تشهد على تعمق رومانس في درس الآباء والتأثر باقوالهم وعرض الموضوع بفن وغنى ادبي.

فالمقدمة بابياتها القليلة تعد القارئ لموضوع النشيد. وهي عرض للاشخاص وما ترمز اليه المياه وما تحققه من ابتهاج وفداء.

وفي المقطوعة الاولى يشرح الشاعر التجارة الروحية بوزنات الارض وما تجره من عمل او إهمال لاخذ المكافأة او العقاب من ملك السماء وينتقل الى المتاجرة بالخيرات روحية كانت ام زمنية واشراك الاخرين بها(٢)وفي المقطوعة الثالثة يتضجر الموضوع من الكتاب العجيب. وفي الرابعة تعليم الكتاب عن لقاء يسوع والسامرية والزمان والمكان. ووصف لشخص يسوع الطبيعي والرمزي «الينبوع كسب ينبوعاً» وفي المقطوعة الخامسة وصف للشخص الثاني وصف داخلي للسامرية الخاطئة.

وفي المقطوعة السادسة يبتدر يسوع بالحوار الرشيق اعطني لأشرب فتخاطبه المرأة (كيف تطلب مني؟) ويجد الشاعر في السامرية رمزا الى الكنيسة والى حوض العماد (٧) ويتخطى الحوار الى عطية الله التي هي اعظم من عطية يعقوب (٨) وتبين العطية بالفرق الناجم بين الماء الراكد في بئر يعقوب وبين الماء الحي الذي يتضجر من قلب يسوع (٩).

ثم تبحث المرأة كيف تتخلص في المستقبل من المجيء كل يوم الى البئر وتغيير الماضي وتبديله بحياة جديدة ونوع عيش جديد (١٠) .

الدعوة الملحة دعوة الرجل والغاية من ذلك كشف العطش (١١) ثم يبين رمز الرجال العديدين الذين تخلت عنهم السامرية كما تخلت الكنيسة عن عبادة الاصنام (١٢) .

ثم يفصّل الشاعر ما تحتوي عليه عبادة الاصنام : الكفر الخلاعة التجرر القساوة وقتل الاطفال (١٣) وعن هذا كله تخلت السامرية وتخلت عن الرجال كما تخلت الكنيسة عن الاخاليل (١٤) .

ويبتعد الشاعر عن سياق المصادر الانجيلية ويستعمل الحوار مع تحليل لنفسية السامرية بقدر ما تُظهر نفسها . يرى الشاعر فيها حب الاستطلاع والاستزادة من المعرفة وكشف الحجاب عن طبيعتي المسيح(١٥) وبسط رائع لعمل طبيعتي المسيح الظاهر بوضوح في معرفة الاسرار كأله وفي ظهوره بين الناس كانسان (١٥) عند ذاك ترجع السامرية الى ذاتها العميقة فتصلي وقد اشتعل قلبها بالايمان فتعرف انها امام المسيح الموعودة به الاجيال السالفة (١٧) وتتسع دائرة عمل يسوع فيتخذ السامرية اول مبشرة ومرسلة (١٨) فيرسلها تستدعي ابناء وطنها والاقرباء الى التمتع بالمياه المروية فينتهي الحوار بعد ان سكن الله في داخل النفس (١٩) .

وفي الذهاب يصل التلاميذ ويعجبون من خطابه مع امرأة . فيصمتون ولان المرأة ذهبت تبشر وتقول انه اعلمني بكل شيء (٢٠) اما التلاميذ فيدعون المعلم الى الطعام ولا يقولون له شيئاً (٢١) عندئذ يصل السامريين وقد تركوا بيوتهم واقبلوا الى الايمان فصاروا بيوتاً لله ..(٢٢)

- هذا هو النشيد بمقطوعاته الاثنتين والعشرين ولا نعلم ما اذا كان النشيد كاملاً بمعناه كما هو كامل بمبناه وكنا نود ان يكون النشيد منتهياً بصلاة يعتمدها السامريون خاتمة لعمل يسوع في ارضهم .

هذا النشيد هو اظهار يسوع معلماً انسانياً والهياً . فهو كأله يحمل العلم الالهي : علم السعادة والحياة التفضلي والطهارة والقداسة والسمو فوق امیال الطبيعة الساقطة . وكانسان يحمل العلم ولا كالمعلمين . ما من احد عرف ان يكون على مستوى البشر ليرفعهم الى العلو الالهي مثل يسوع المسيح . المعلم الالهي العجيب امام تلميذته السامرية واية تلميذة جاهلة غارقة في اوحال الرذائل ونرى الشاعر كيف يجهد نفسه ليظهر يسوع مجدداً في ادخال النور والحقائق الروحية الى هذا العقل المظلم . « اميلي اذنيك

وافتحي لي اذهانك لادخل اليها واسكن فيها .» (٩)

يجرّب ان يرفعها الى الاجواء السامية ويعمل على تنقية مداركها : « اذا شئت فانا اعطيك مجاري المياه الصافية »(م—١١) الماء الحي يجري من تحت الارض وهو نقي ينفذ في الهواء الطلق وتطهره اشعة الشمس المحرقة . كذلك ماء المسيح الروحي .

لقد اسر المسيح هذه الامرأة بكلامه ووعده وهي لا ترى حتى الساعة الا الصعوبات لتحقيق ما يجعلها سعيدة هنية .

« ليتدفق هذا الماء ويسقني انا وجميع الذين يبحثون بايمان عن فداء وابتهاج »(١٠) .

هناك طرائف من الشعر الرمزي : «خرجت واستقت كأنها اسفنجة » (م—٥) انها اخذت التعليم عن يسوع المعلم وارتوت في داخلها كما ترتوي الاسفنجة من المياه.

وصورة جميلة قول الشاعر : « خرجت تحمل جرتها ودخلت تحمل الله.» (م—٥) ولا تزال ترتوي من تعاليمه حتى تفيض بالايمان واخبة لهذا المعلم الالهي : « استقي من روحه واشرب من علمه . » (م—١٦) وعندما تصل الى الارتواء الكافي تشعر بأنها اصبحت خليقة جديدة ونقية طاهرة : «وفي اقواله أغسل كل دنس خطاياي حتى آخذ بقلب طاهر فداءً وابتهاجاً . » (م—١٦) .

وفي هذا النشيد تكثر وتتاصل جذور الحياة الروحية السماوية وتعمق : « هوذا من تبعترين ومن تملكين في قرارة قلبك . انا جئت حباً بك لاجذبك واخلصك»(م—١٨) وفي الهدف الاخير من الحوار مع هذه الجاهلة يصبح المسيح كياناً يسكن في نفس المرأة المؤمنة : « قد نظفت قلبك بدون أبلة وغسلت روحك بدون مجاري وجعلت سكناي فيك طوعاً.» (م—١٩) .

ولا يترك الشاعر اشخاصه الا بعد ان يشبعها درساً وتحليلاً فالتي كانت غارقة في ارجاسها اصبحت بدورها رسولة الى ابنائها وسكان مدينتها : « تركت جرتها وحملت على اكتاف قلبها من يسير الكلى والقلوب وبوقت صارخة هكذا بالجميع : « ايها الشيوخ واتم ايها الاحداث ايها الفتيان والعذارى اسرعوا الى البئر لقد فاض الماء الجاري للجميع» (م—٢٠) .

وهكذا يغدو الشاعر رومانس معلماً للحقائق العميقة بقالب الشعر والحوار والتحليل النفسي لشخصيات متباينة تقترب من بعضها البعض تحت تأثير الكلمة . فرومانس ينثر شعل الايمان باضطرام المحبة الالهية ويزرع الجمال كشعة من السماء وتنحدر الى النفوس فيستضيء الوجه وتضطرم النفس فتؤمن وتحب وتعانق الجمال المتجسد .